المؤسسة العلمية الكتانية
للدراسات و الأبحاث

ضريح الولى الصالح سيدي دراس بن إسماعيل
التعريف بالضريح وصاحبه ومسجده

جمع و انجاز الدكتور حمزة الكتاني

م196/9

2019/12/30

المحتـــــــوى

ر.ت	المحتوى	الصفحة
1	التعريـف بضريـح الولي الصالــح سيـدي دراس بـن اسماعيــل. مع نصــوص الظهائــر الشريفــة لتوليــة الأشــراف الكتانييــن عـلــى الضريــح للسـلاطيــن العلوييــن منذ سنـة 1204هـ. د. حمزة بن الشيخ محمد الطيب الكتاني	3
2	سيـدي درَّاس بـن إسـماعيل الفاسي **للأستاذ جمال القديم** الباحث بمركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث التابع للرابطة المحمدية للعلماء بتاريخ 2009/03/16.	23
3	سيدي دراس بن إسماعيل **للباحث جمال بامنيشر** في ميثـاق الرابطــة نشرته مجلة مغرس. يوم 15 - 01 - 2010.	26
4	بحـث عـن سـيدي دراس بن إسماعيل في موقع التواصل الاجتماعي "الإمام مالك http://imammalic.blogspot.com " بتاريخ 2011/12/27	29
5	دراسة عن المذهب المالكي في المغرب خلال القرن الرابع الهجري من خلال بعض أعلامه "دراس بن اسماعيل وتلامذته نموذجا" **للباحث الأستاذ عبد الرزاق وورقية** ندوة المذهب المالكي في المغرب من الموطأ الى المدونة (مارس 2008)	31
6	دراسـة **للأستـاذ محمد بنعبد الجليل** حـول وثـائـق مسجد سيدي دراس بن إسماعيل ونماذج من تعيين الأئمة و أحبــاس المحــراب. كلية الآداب سايس بفاس. ندوة المذهب المالكي في المغرب من الموطأ الى المدونة (مارس 2008)	46
7	دراســة عــن مسـجـد سيـدي دراس بن إسماعيـل بفــاس **للباحث عبد العزيز توري** بوزارة الشؤون الثقافية. ندوة المذهب المالكي في المغرب من الموطأ إلى المدونة (مارس 2008)	54

التعريف بضريح الولي الصالح سيدي "دراس بن إسماعيل"

مع ثلاث ظهائر شريفة بتولية الأشراف الكتانيين على الضريح للسلاطين العلويين

- الظهير الأول بتوقيع السلطان مولاي محمد بن عبد الله سنة 1204هـ .
- الظهير الثاني بتوقيع السلطان مولاي سليمان بن محمد بن عبد الله سنة 1214هـ.
- الظهير الثالث بتوقيع السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام سنة 1240هـ.

ضريح الولي الصالح سيدي "دراس بن إسماعيل"

توفي الشيخ **"دراس بن إسماعيل"** بفاس بلده سنة 357 هـ وقبره خارج باب الجيزيين، بمطرح الأجلة خارج باب الفتوح معروف.

أُقِيمَ على جدثه ضريح، يضم رفاته، ورفات عدة شرفاء كتانيين، ويحيط بالضريح روضة مباركة تضم قبور أعلام معروفين بينهم شرفاء كتانيون.

ضريح سيدي **"دراس بن إسماعيل"** كان يضاهي ضريح المولى ادريس الأزهر من حيث الصدقات والهبات.

وللشرفاء الكتانيين، **"شرفاء عقبة ابن صوال"** ثلاث ظهائر علوية شريفة عليها خاتم السلطان مولاي محمد بن عبد الله (1204هـ)، ومولاي سليمان ابن محمد بن عبد الله (1214هـ)، ومولاي عبد الرحمان بن هشام (1240هـ)، يخول لهم بمقتضاه التولي والتصرف في الضريح والاستبداد بجميع ما يهدى إليه.

جدد بناء ضريحه السلطان **أبو عنان المريني** ونصبت على جدثه رخامة منقوشة باسمه وتاريخ وفاته. ثم جدد بناء الضريح السلطان الجليل **سيدي محمد بن عبد الله العلوي أوائل المائة الثانية عشرة** وجعل عليه قبة أوسع مما كانت عليه قبة محكمة البناء متقنة العمل، منقوش داخلها بالذهب وغيره، ومفروش سطحها بالقرمود الأخضر، ولازالت على ما بناها عليه لغاية سنة 1315 هـ.

حالة الضريح تدهورت منذ هذا التاريخ، فتداعت الحيطان، وانقلب الحال من أبهى الحلل إلى أدنى الحلل حتى سنة 1427هـ، إلى أن تم إنقاذ الضريح المبارك على يد محب شريف النسب في شخص الفاضل **السيد بوشتى اليحياوي الإدريسي عام 1428 هـ** فأعاد له حلته البهية، مرمما الضريح ترميما كبيرا، جزاه الله خير الجزاء.

وبدعم كبير متميز، وأريحية فائقة من وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية*، ونظارة أحباس مدينة فاس، **تكفل الدكتور حمزة بن الشيخ محمد الطيب الكتاني** باعادة الإعتبار للروضات الكتانية، الكائنة بمطرح الأجلة، بمقبرة القبب، خارج باب الفتوح – بفاس .

*في عهد الوزير المقتدر فضيلة الأستاذ أحمد التوفيق، والكاتب العام للوزارة السيد موحى وامان

وتحقق هذا الأمل عندما إستجابت وزارة الأوقاف لإلتماس الشرفاء الكتانيين بتعيين ناظر خاص مكلف بأحباسهم المعقبة بفاس في شخص الفاظل المحترم السيد الحسن لزرق مع نهاية عام 2018م.

ومند هذا التاريخ، يسر الله كل الصعاب، فتم حفظ ماحبسه الأجداد من الشرفاء الكتانيين، منذ أزيد من قرنين، من أملاك وروضات **مثبتة قديما في رسوم عدلية، ومسجلة حاليا بتحفيظها رسميا في وكالة المحافظة العقارية بفاس،** بما في دلك ضريح الولي الصالح سيدي دراس بن اسماعيل

ونثبت فيما يلي، ما يوجد في الضريح أو بالروضة التابعة له من أجداث لشرفاء كتانيين وعلماء وصلحاء أقبروا فيها،رحمهم الله رحمة واسعة وألحقنا بهم مسلمين شاكرين راضين بجاه سيد المرسلين أمين، والحمد لله رب العالمين.

****

أجـداث الــشرفاء الكتانيين بضريح سيدي دراس بن اسماعيل بفاس

أجــداث الضـريـــــح*

ر.ت	أسمـاء الـشرفـاء	تاريخ الوفاة	الـمرجـع
1	الــولـــي سـيدي دراس بـن إسـماعيل	357 هـ/968م	السلـوة ج 2 (ص 197-200)
2	الولي الصالح محمد بن عبد العزيز الصنهاجي	**صفر 1154هـ/1741م**	السلوة ج 2 (ص 200-202)
3	الـقائـد محمد الـمـطـيري الـبومداني	1231 هـ/1818م	أرشيف المؤسسة العلمية الكتانية
4	الشريف رشيد بن عبد الحفيظ بن احمد الكتاني	1240هـ/1825م	**السلوة ج 2 (ص 203) قبره متصل به من جـهة القبلة (فرع (17) محمدي جيل 33)**
5	الشريف هاشم بن إدريس الكتاني	1244 هـ/1820م	فـرع (7) أحـمـدي (جـيـل 32)
6	الشريــف جــعـفــر بن إدريس الكتاني	1323هـ /1905م	فـرع (12) مـحـمدي (جـيل 35)
7	الشريف عبد الرحـمن بن جعفر الكتاني	1334هـ/1916م	فـرع (12) مـحـمـدي (جيل36)
8	الفاضــلة فـــاطمــة بنت أحمد القصري	1335هـ/1917م	**زوج جـعفر الكتانـي و أم عبد الرحمن الكتاني**
9	الـشريــف أحــمـــد بن إدريس الكتاني	1337هـ/1919م	فـرع (13) محمدي (جـيـل 35)
10	الـشريــف أحــمــد بــن جعـفر الـكتاني	1340هـ/1922م	فـرع (12) محمدي (جـيـل 36)

- **عـدد أجداث الضريح عشرون جـدثا، والأسماء المعروفة فـيه لا تتعدى عشرة أسماء، بينـها فقط أسماء ستة شرفاء كتانيين**

ضريح سيدي الدراس بن اسماعيل

الشمال

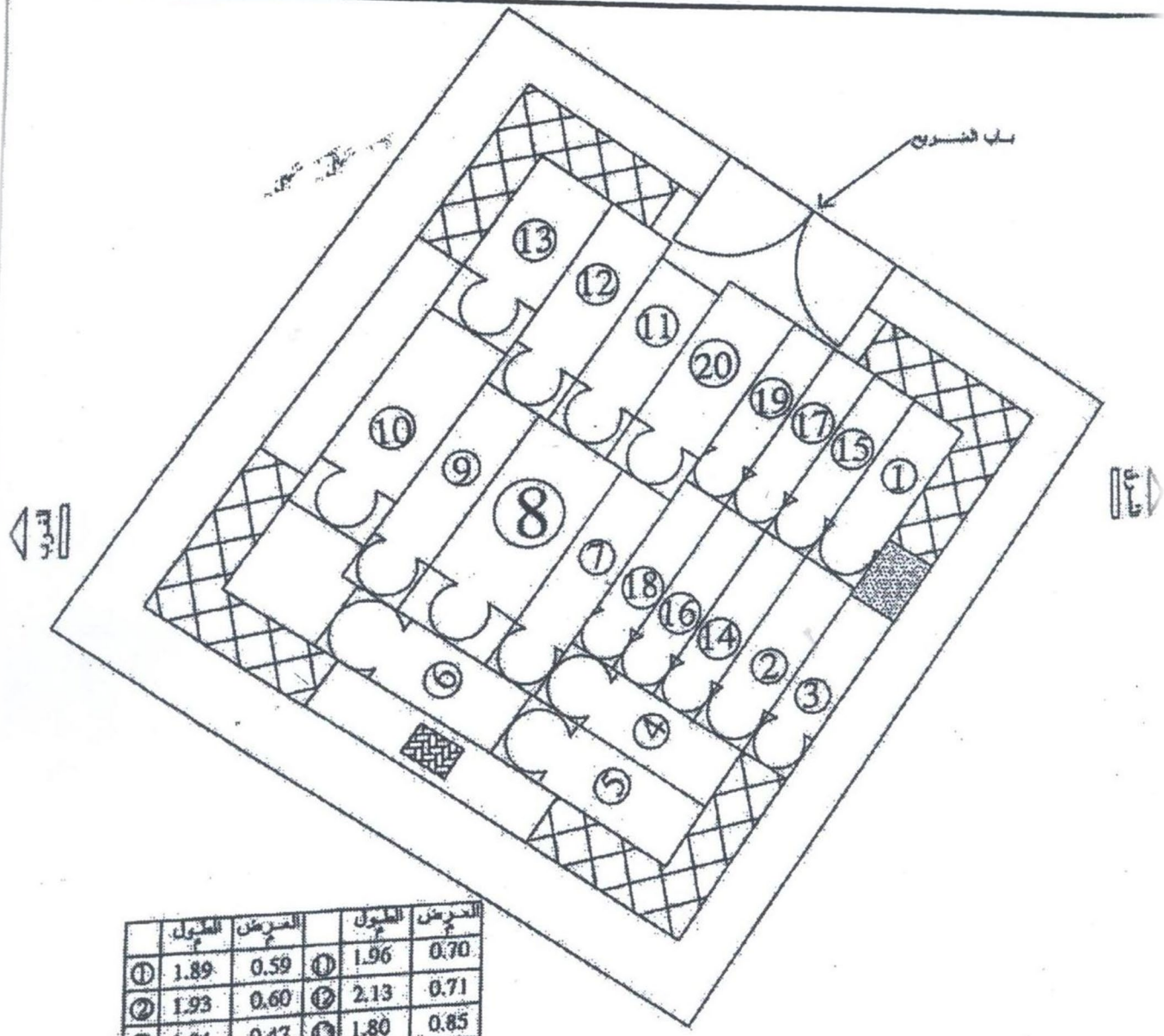

	الطول م	العرض م		الطول م	العرض م
①	1.89	0.59	⑪	1.96	0.70
②	1.93	0.60	⑫	2.13	0.71
③	1.84	0.47	⑬	1.80	0.85
④	2.04	0.63	⑭	1.93	0.49
⑤	2.07	0.63	⑮	1.88	0.49
⑥	1.98	0.68	⑯	1.93	0.49
⑦	2.30	0.58	⑰	1.88	0.49
⑧	2.30	1.00	⑱	1.93	0.49
⑨	2.30	0.62	⑲	1.88	0.49
⑩	2.27	0.89	⑳	2.13	0.79

الجنوب

الساقط

قبر

مدفون بالجنس مخطوط بكرجست سيدي الدراس بن اسماعيل

الأجداث بروضة الضريح

ر.ت	أسماء الشرفاء	تاريخ الوفاة	المرجع
1	الولي سيدي عثمان السلالجي	594هـ/1198م	أرشيف المؤسسة العلمية الكتانية
2	الشريف عبد السلام بن هاشم الكتاني	1256هـ/1840م	فرع (16) محمدي (جيل 33)
3	الشريف الحسين بن جعفر الكتاني	1332هـ/1914م	فرع (12) محمدي (جيل 36)
4	الشريف إسماعيل بن إبراهيم بن هاشم الكتاني	1370هـ/1951م	فرع (16) محمدي (جيل 36)
5	الشريف الفاطمي بن أحمد الكتاني	1394هـ/1974م	فرع (13) محمدي (جيل 36)
6	الشريف الطاهر بن محمد الكتاني	1419هـ/1998م	فرع (13) محمدي (جيل 38)
7	الشريف أحمد بن إدريس الكتاني	1392هـ/ 1972م	فرع (8) أحمدي (جيل 37)
8	الشريف عبد الوارث بن محمد الكتاني	1436هـ /2015 م	فرع (13) محمدي (جيل 38)
9	الشريفة رجاء بنت عبد العزيز الكتاني	1440هـ/2018م	فرع (12) محمدي (جيل 38)
10	الشريف نور الدين بن محمد الكتاني	1426هـ /2005 م	فرع (12) محمدي (جيل 38)
11	الشريف محمد بن الطيب الكتاني	1437 هـ /2016م	فرع (13) محمدي (جيل 38)
12	الشريفة سميرة بنت نور الدين الكتاني	1434 هـ/2013م	فرع (12) محمدي (جيل 39)
13	الشريفة نفيسة بنت أحمد الكتاني	1403 هـ /1982م	فرع (12) محمدي (جيل 37)

ظهـائـــــر*

ملكية في شأن تنفيذ قرار تولية حرم ضريح سيدي دراس بن اسماعيل للشرفاء الكتانيين

* مستخرجة من كتاب الرياض الريانية في الشعبة الكتانية ذات المحاسن الفاشية الكافية الشافية

لشيخ الإسلام أبي المواهب جعفر بن إدريس الكتاني الحسني الفاسي (1323 هـ - 1905م)

--	نصوص الظهائـــــــر السلطانيـة	ص
تـقـديـــــــــم	في شان تنفيذ قرار تولية حرم ضريح سيدي دراس بن اسماعيل للشرفـاء الكتانييـــن	11
الظهيـر الأول	بتوقيـــــع مـولاي محمـــد بن عبـد الله سنــة 1204 هـ	12
الظهير الثانـي	بتوقيع مولاي سليمان بن محمد بن عبد الله سنة 1214 هـ	14
الظهير الثالث	بتوقيع مولاي عبـد الرحمــان بن هشـــام سنة 1240 هـ	16
تـعـقـيـــــــب	على انقطاع ما كان يؤتى به إليه من الفتوح لضريـح سيدي دراس بـن اسماعيـــل	18

تقديم الظهـائر السلطانية

يشير أبو المواهب جعفر بن ادريس الكتاني إلى أن الشرفاء الكتانيين حصل لهم عند الناس خصوص المنزلة وعموم الحظوة وعظمهم الملوك، وجعلهم في عقد مشاهير الأشراف واسطة السلوك، وخصوا في ظهائرهم على ما يجب لهم من التعظيم والاحترام، ونفذوا لهم من مزارات أكابر الصالحين، ما لا يتوصل إليه إلا بعد أن تقوم بثبوت المزايا على الغير واضحات البراهين، كضريح الولي الشهير والعالم الكبير أبي ميمونة دراس بن اسماعيل.

ومن جملة الظهائر المنفذ بها ضريح أبي ميمونة، ظهير سيدي محمد بن عبد الله[1]، وظهير مولانا سليمان بن محمد المذكور[2]، وظهير مولانا عبد الرحمان بن هشام[3]، طيب الله ثراهم بوابل الرحمات والإنعام.

[1] - ترجمته في: السلوة: 197/2 – 200، المستفاد في مناقب العباد: 180/2-183، الجذوة: 194/1 رقم: 155.
[2] - ترجمته وأخباره في: الدرر البهية: 227/1 – 229، إتحاف أعلام الناس: 2/5 – 174، الاستقصا: 3/9 – 79، الاعلام: 341/3.
[3] - انظر ترجمته وأخباره في: الاستقصا: 82/8 – 83 – 97 – 98، عمدة الراوين: 189/1، الدرر البهية، 225/1 – 226، الاعلام: 88/8.

الظهير الأول بتوقيع السلطان مولاي محمد بن عبد الرحمان سنة 1204

نـــص الظهيـــر الأول:

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله، كتابنا هذا أسماه الله تعالى يستقر بيد حملته السادات الشرفاء الكتانيين، ويعلم منه أننا ولياهم حرم ضريح سيدي دراس بن اسماعيل نفعنا الله ببركته، فهم الدين يستبدون بصدقاته والتصرف فيه من غير منازع لهم ولا معارض، لأجل ضعفهم ومسكنتهم وقرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم، والواقف عليه من خدامنا يعمل بمقتضاه، وعليهم بتقوى الله العظيم ومراقبته في السر والعلانية والسلام. ثالث عشر المحرم عام 1204، وبين الحمدلة وما بعدها وافتتاحه، الطابع الشريف وبداخله محمد بن عبد الله بن اسماعيل الله وليه ومولاه، وبدائرته: ومن تكن برسول الله نصرته إن تلقه الأسد في آجامها تحم، وبعده الحمد لله: الطابع الشريف أعلاه هو لمولانا أمير المؤمنين سيدي محمد بن عبد الله قدس الله روحه، وأسكنه من الجنان فسيحه، قاله عارفه ومعرفا به عمر بن عبد الرحمان الفاسي لطف الله به بشكله. وبعده الحمد لله أدى المعرف أعلاه فقبل وأعلم به محمد بن عبد الرحمان العلوي المدغري الحسني لطف الله به بشكله وبعده استقل.

الظهيـــر الثانـــي
سنة 1214

نـــص الظهيـــر الثانـــي:

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله، ليعلم الواقف على مسطورنا الكريم، المقابل بالإجلال والتعظيم، أننا أبقينا حملته السادات الشرفاء الكتانيين على حالتهم المعهودة التي تركهم عليها سيدنا الوالد (109) قدس الله ثراه، يتصرفون في ضريح سيدي دراس بن اسماعيل وتوليتهم عليه واستبدادهم بصدقاته، ما عدا الشريف الذي جرح ابن عمه فقط، فلا مدخل له معهم في ذلك إبقاء تاما من غير منازع ولا معارض، وعليهم بتقوى الله العظيم ومراقبته في السر والعلانية. وحسب الواقف عليه من عمالنا وخدامنا العمل بمقتضاه، ولا يحيد عن كريم مذهبه في 2 جمادى الاولى عام 1214، وبين الحمدلة وما بعدها وافتتاحه الطابع الشريف، وبداخله سليمان بن محمد بن عبد الله غفر الله له ذنوبه، وبدائرته: وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، محمد أو بكر عمر عثمان علي وبعده الحمد لله، الطابع الشريف أعلاه هو لمولانا أمير المومنين مولانا سليمان قدس الله روحه، وأسكنه من الجنان فسيحه. قاله عارفه ومعرفا به عمر بن عبد الرحمان الفاسي لطف الله به بشكله. وبعده الحمد لله أدى المعرف أعلاه فثبت وأعلم به محمد بن عبد الرحمان العلوي المدغري الحسني لطف الله به بشكله وبعده استقل.

الظهيـــر الثالـــث
سنة 1240

نـــص الظهيـــر الثالث:

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، يعلم من كتابنا هذا أعلى الله قدره، وأنفذ في البسيطة أمره، وجعل في الصالحات طيه ونشره، أننا أبقينا السادات الأشراف الكتانيين على ما عهد لهم من توليتهم ضريح الولي الشهير والغوث الكبير، سيدي دراس بن اسماعيل خارج باب الفتوح، واستبدادهم بجميع ما يهدى للضريح المذكور من غير منازل لهم في ذلك ولا معارض ولا مزاحم ولا مداحض، فعلى الواقف عليه من خدامنا وولاة أمرنا العمل بما فيه، ولا يحيد عن كريم مذهبه والسلام في 17 ربيع الأول عام 1240، وبين الحمدلة وما بعدها وصدره، الطابع الشريف وبداخله عبد الرحمان بن هشام غفر الله ذنبه، وبدائرته الأولى: وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، وبالثانية: ومن تكن.. البيت، وبعده بخط القاضي مولاي محمد المتقدم استقل.

تعقيـــــــب

على انقطاع ما كان يؤتى به إليه من الفتوح لضريح سيدي دراس بن اسماعيل:

قلت ومن منن الله على شعبتنا التي لا نطيق شكرها، انقطاع ما كان يؤتى به إليه من الفتوح، بحيث ترك رأسا حماية منه لها وليتحقق مصداق قوله صلى الله عليه وسلم: "ليست الدنيا من محمد ولا من آل محمد، ولو كانت الدنيا تعدل عند الله في الخير جناح بعوضة ما سقى منها كافرا شربة ماء"،[4] وقوله: إن هؤلاء أهل بيتي، ولا أحب أن ياكلوا طيباتهم في حياتهم الدنيا،[5] وقوله: "إنا أهل البيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا"[6]، وقول سيدنا الحسن رضي الله عنه: "إن الله لم يجمع لنا معشر أهل البيت بين الدنيا والآخرة"[7]، وأخرج البخاري عن عمرو بن تغلب قال: أتي النبي صلى الله عليه وسلم بمال فقسمه، فأعطى رجالا وترك رجالا، فبلغه أن الذين تركوا عتبوا عليه، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد فوالله إني لأعطي الرجل وأدع الرجل، والذي أدع أحب إلي من الذي أعطي، ولكن أعطي أقواما لما أرى في قلوبهم من الجزع والهلع، وأكل أقواما إلى ما جعل الله في قلوبهم من الغنى والخير منهم عمرو بن تغلب[8]، المناوي: فيه أن الرزق في الدنيا ليس على قدر درجة المرزوق في الآخرة، وأما في الدنيا فتقع العطية والمنع بحسب السياسة الدنيوية، وأن البشر جبلوا على حب العطاء وبغض المنع، وأن المنع قد يكون خيرا للممنوع "وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم"، واستيلاف من يخضى جزعه أو يرجى بسبب إعطائه طاعة من يتبعه، والاعتذار إلى من ظن ظنا والأمر بخلافه[9].

---

[4] - قريب منه في: المستدرك: 341/4 رقم: 7847، كشف الخفاء: 207/2 رقم 2107، الترغيب والترهيب: 83/4 رقم: 4896.

[5] - انظر مسند أحمد بن حنبل: 275/5 رقم : 22417.

[6] - انظر مصنف ابن أبي شيبة: 527/7 رقم: 34427، دلائل النبوة للأصبهاني: 226/1 رقم : 327.

[7] - وقفت على ما هو قريب من هذا القول للحسن السبط رضي الله عنه في: زاد المعاد: 261/5، حيث ورد في تخيير نساء النبي صلى الله عليه وسلم بين الدنيا والآخرة.. والله أعلم.

[8] - البخاري: 312/1 رقم: 881.

[9] - أي في فيض القدير: 173/2.

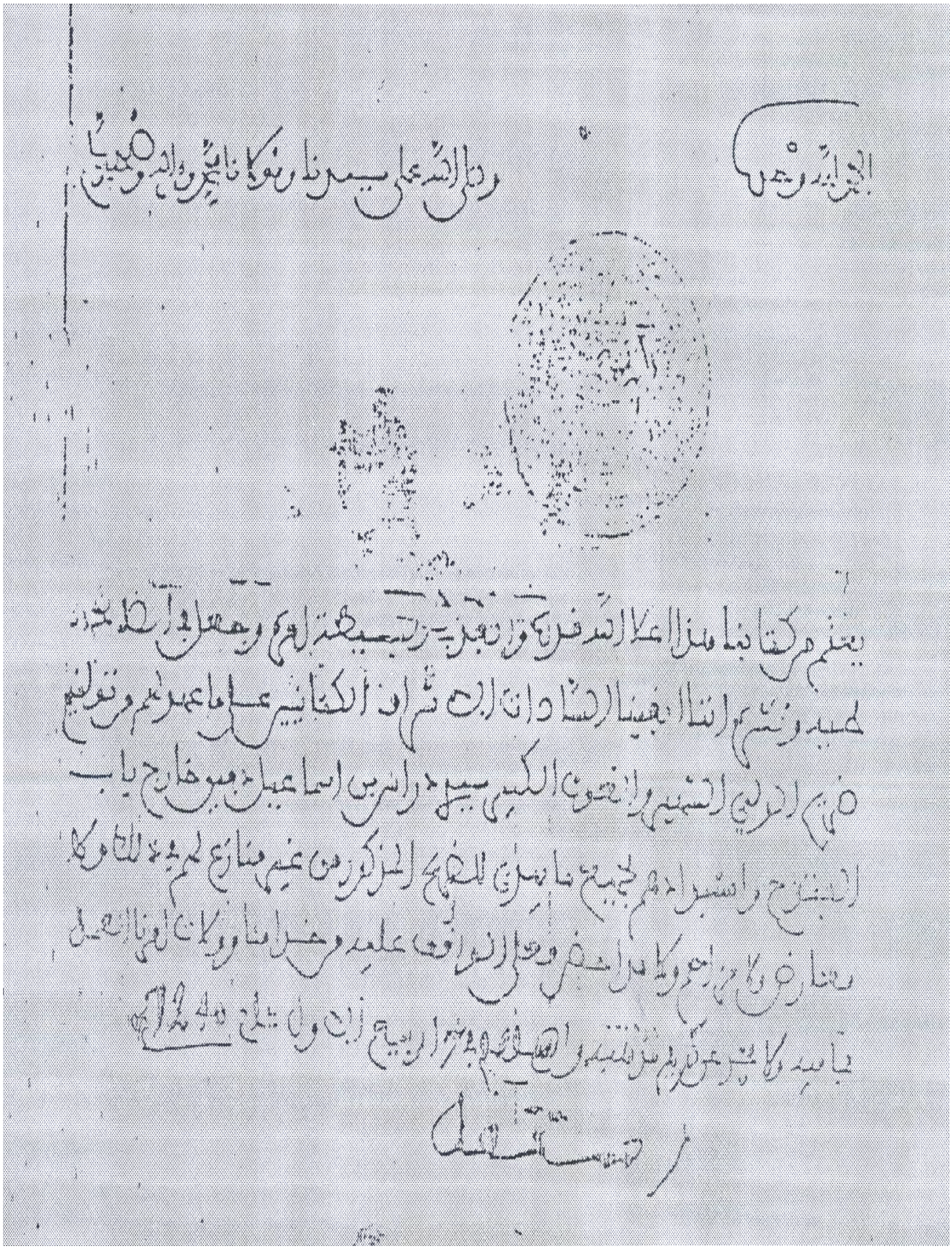

نسخة أصلية من الظهير الثالث

صورة للجدارية المثبتة في الضريح مؤرخة في سنة 540هـ

نص الجذارية بالخط المطبعي

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم تسليما.

كل من عليها فإن ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام.

أخو العلم حي خالد بعد موته و أوصاله تحت التراب رميم.

وذو الجهل ميت وهو ماش على الثرى يظن من الأحياء وهو عديم.

هذا قبر مولانا الخليفة عبد الله المتوكل على الله فارس أمير المومنين ابن الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أجمعين، الصالح العالم **الولي دراس ابن إسماعيل المكنى بأبي ميمونة** والمتوفى في سنة **سبع وخمسين وثلاثمائة**.

نفع الله به. قال بذلك، إن لله أحبابا من أهل العلم والصالحين والله لا يضيع أجر العاملين.

وكتب هذا في رمضان عام أربعين وخمسمائة.

****

سيدى درَّاس بن إسماعيل الفاسي للأستاذ جمال القديم الباحث بمركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث التابع للرابطة المحمدية للعلماء بتاريخ 2009/03/16.

درَّاس بن إسماعيل الفاسي تـ 357هـ

هو الفقيه الحافظ، الصالح العابد، أبو ميمونة درّاس بن إسماعيل الفاسي، لم تتحدث المصادر عن تاريخ ولادته، ولا عن أسرته، ولم تذكر اسمه الحقيقي، وكل ما ذكرت أنه سمي دَرَّاسا لكثرة دراسته للعلم، حتى غلب عليه هذا اللقب، وبه عُرِف واشتهر، والله أعلم.

بدأ طلبه للعلم بالأخذ عن شيوخ بلده، ورحل فدخل إفريقية فأخذ عن أبي بكر بن اللَّبَّاد (ت333هـ)، وغيره، وبالإسكندرية عن علي بن أبي مطر المعافري (ت339هـ)، سمع عليه كتاب ابن المواز، وحدث به بالقيروان، سمعه منه أبو محمد بن أبي زيد القيرواني(ت386هـ)، وأبو الحسن علي بن محمد القَابِسي(ت403هـ)، ودخل أيضا الأندلس مجاهدا وطالبا، فسمع منه أبو الفرج عبدوس بن خلف الطليطلي(ت390هـ)، وأبو القاسم خلف بن أحمد القرطبي المعروف بابن أبي جعفر(ت393هـ)، وغير واحد، وقال القاضي عياض:«وأراه رحل لبلدنا» أي سبتة، ثم ذكر بعض من أخذ عنه من أهلها كأبي عبد الله محمد بن علي، المعروف بابن الشيخ السبتي المتوفى في حدود (400هـ)، وأخيه حسن بن علي، وعمر بن ميمون بن أبي بكر القيسي، وحمود بن غالب الهمداني وغيرهم.

بلغ المترجم شأوا كبيرا في الفقه المالكي، ومعرفة مسائله وقضاياه؛ وذاع بين الناس مخالفته لشيخه أبي بكر بن اللّبَّاد في حديث في الموطأ، ومناقشته له حتى سلم لرأيه واعترف بفضله وحفظه، كما ارتبط اسم درَّاس بن إسماعيل بالجهود التي بذلها في نشر المذهب المالكي بالمغرب، وقد كانوا قبله على مذهب أبي حنيفة، وفي هذا السياق اعتبر غير واحد من مترجميه أنه أول من أدخل مدونة سحنون مدينةَ فاس، وكان له مسجد بحي يسمى مصمودة من عدوة الأندلس؛ يتجمع فيه الطلبة لقراءة الفقه، ويقال: إن قبلته أقوم قبلة بفاس، ونقل القاضي عياض في «ترتيب المدارك» عن أبي بكر المالكي أنه قال: «كان أبو ميمونة من الحفاظ المعدودين، والأئمة المبرزين من أهل الفضل والدين، ولما طرأ إلى القيروان اطلع الناس من حفظه على أمر عظيم حتى كان يقال: ليس في وقته أحفظ منه»، وقال ابن الفرضي:«كان فقيها حافظا للرأي على مذهب مالك.«

وإلى جانب مبلغه في العلم والفقه، فقد اشتهر بالزهد والعبادة، والدين المتين، والتورع عما في أيدي الناس.

وتنسب لأبي ميمونة رسالة في الدفاع عن الأشعرية حيث يحكى عنه أنه كان متحمسا للمذهب الأشعري، وتوفي رحمه الله في ذي الحجة سنة (357هـ) على المشهور من الأقوال، وذكر بعضهم أنه توفي سنة (358هـ)، وقيل غيرها، ودفن بفاس خارج باب الفتوح، وقد جدد السلطان أبو عنان المريني قبره سنة (754هـ)، ووضع عليه مربعة رخام منقوشة باسمه، وتاريخ وفاته، واعتبر من أولياء مدينة فاس.

مصادر الترجمة: تاريخ ابن الفرضي (173/2)، بغية الملتمس (ص292)، ترتيب المدارك (81/6)، تاريخ الإسلام (115/8)، جذوة الاقتباس (194/1)، نيل الابتهاج (ص175)، الروض العاطر الأنفاس (ص49)، سلوة الأنفاس (197/2)، معلمة المغرب (3987/12).

سيدي دراس بن إسماعيل للباحث جمال بامنيشر في ميثاق الرابطة

نشرته مجلة مغرس. يوم 15 - 01 - 2010.

دراس بن إسماعيل

هو الشيخ أبو ميمونة دراس بن إسماعيل دفين خارج باب الفتوح [1 edn1_#] بمحروسة فاس .كان - رحمه الله- ممن تقدم عصره وشهر فضله، ومسجده الذي بمصمودة من عدوة الأندلس بفاس، وبه يعرف المسجد إلى الآن، عاش في أواخر الدولة الإدريسية..

قال العلامة محمد بن جعفر الكتاني في "سلوة الأنفاس :"دراس بن إسماعيل، عالم فاس في عصره، الشيخ العلامة الفاضل، أحد أوتاد المغرب. وممن أدخل مذهب مالك بلاد المغرب، وكان الغالب عليه في القديم مذهب الكوفيين.. وقال القاضي عياض في "المدارك" وأراه دخل بلدنا: يعني سبتة.
وممن ترجموا دراسا بن إسماعيل، أبو عبد الله التميمي في "المستفاد"والقاضي عياض في "المدارك" وابن القاضي في "جذوة الاقتباس".وأبو العباس بابا التمبكتي في "كفاية المحتاج" وفي "نيل الابتهاج"، وأبو الحسن الجزنائي في"جنا زهرة الآس."
قال الجزنائي أن علامتنا سمي دراسا لكثرة درسه العلم، سمع من شيوخ بلده وبإفريقية من أبي بكر اللباد، وسمع بالإسكندرية من علي بن أبي مطر كتاب ابن المواز، وحدّث به بالقيروان، سمعه منه عالم المالكية في زمانه أبي الحسن القابسي، ودخل دراس الأندلس، فسمع من أبي الفرج عبدوس بن خلف..
وابن أبي مطر المتقدم في أشياخه هو الشيخ أبو الحسن علي بن عبد الله بن أبي مطر، من ولد أبي موسى الأشعري، توفي بالإسكندرية سنة 339ه. قاله عياض في"المدارك."
قال القاضي أبو الوليد ابن الفرضي "كان أبو ميمونة فقيها حافظا للرأي على مذهب مالك"، وقال أبو الوليد الباجي "كان شيخا صالحا". ولما ذكر الشيخ أبو عبد الله اليستيني في تقييد له في القبلة ردّ به على الشيخ أبي زيد عبد الرحمن التاجوري بخصوص محراب القرويين، وأنه لا انحراف فيه. جعل يذكر الأئمة الذين صلّوا فيه من غير انحراف ثم قال: وكان الشيخ أبي ميمونة دارس بن إسماعيل، حافظ كبير وعالم جليل..
وقد أثرت قضية اتصال دراس بن إسماعيل بعلماء عصره أخذا وتدريسا لندرك سعة اطلاعه وتمكنه من ثقافة زمانه، بل ودوره المفصلي في نشر المذهب المالكي بالمغرب في وقت كان التجاذب المذهبي على أشده في الغرب الإسلامي لما كانت الدولة الإدريسية تلفظ أنفاسها الأخيرة وكانت الإمارات الزناتية تعد العدة لاقتسام بلد ضعيف ومتهالك سياسيا وثقافيا.. ويتعمق وعينا بدور العلامة دراس بن إسماعيل في إشكالية الثقافة المغربية في عصره إذا عرفنا أنه شيخ وأستاذ العلامة المالكي الشهير ابن أبي زيد القيرواني وكان الشيخ دراس ينزل عند ابن أبي زيد في القيروان، وكان هذا الأخير يرحل لزيارة أستاذه بفاس..
ثمة قضية أخرى تبرز عند تناول شخصية دراس بن إسماعيل بالدرس والتحليل. وهي تصدره مجال التصوف العالم في فترة لم يكن يعرف عن المغرب شيء يذكر في هذا المجال..
هذا ما لاحظه الشيخ يوسف التليدي في "المطرب في مشاهير أولياء المغرب" حين قال: "وأقدم من عرفناه بهذه الديار من العلماء الزهاد سيدي دراس بن إسماعيل الفاسي "ندرك ذلك إذا عرفنا تقدم صاحبنا على عصر ابن العريف وابن برجان وعلي بن حرزهم وأبي يعزى يلنور وأبي شعيب السارية الآزموري..
وهذا ما يفتح في اعتقادي قضية كبيرة للنقاش حول أصول التصوف المغربي ومدى تجذّر هذا الأخير في التربة المغربية من هنا يكتسب دراس بن إسماعيل مكانته المفصلية في التاريخ الفكري المبكر للمغرب، وهي قضية لا محالة ستساهم في إضاءة جوانب ما تزال غامضة في تاريخ المغرب سياسيا وفكريا..

توفي علامتنا الجليل بمحروسة فاس في ذي الحجة سنة 357ه فيما قاله ابن الفرضي، وعياض في "المدارك" وابن قنفذ في "شرف الطالب" وقاله أيضا صاحب "نيل الابتهاج"، وهو الذي في مشهد قبره الذي جدده السلطان المريني أبو عنان ابن أبي الحسن، وجعل هنالك رخامة منقوشة باسمه وتاريخ موته ونُصبت عند رأسه في رمضان سنة 754ه، ثم جدد بناءه السلطان محمد بن عبد الله العلوي أواخر المائة الثانية بعد الألف، وجعل عليه قُبة أوسع مما كانت، مفروشا سطحها بالقرمود الأخضر.

ذكر العلامة محمد بن جعفر الكتاني في "سلوة النفاس"أن أبا محمد ابن أبي زيد القيرواني قدم لفاس لزيارة دراس بن إسماعيل فوجده قد توفي في ذلك اليوم، فحضر جنازته وأقام بقبره ثلاثة أيام، ولما أراد الرحيل أنشد: قِفْ بِالمَقَابِرِ لِلتَّوْدِيعِ يَا حَادِي فَإنّ فِي جَوْفِهَا قَلْبِي وَأَكْبَادِي

رحم الله العلامة دراس بن إسماعيل الفاسي والله الموفق للخير والمعين عليه.

1edn1نسبة للفتوح بن دوناس بن المعز بن عطية المغراوي الذي حصّن عقب اختطاط الأدارسة للمدينة عدوة الأندلسيين وبنى بها قصبة لسكناه بالكدان وفتح بالعدوة بابا سماه باسمه:(ابن القاضي: جذوة الاقتباس).

بحث عن سيدي دراس بن إسماعيل في موقع التواصل الاجتماعي

"الإمام مالك http://imammalic.blogspot.com " بتاريخ 2011/12/27

درّاس بن إسماعيل

▪اسمه ونسبه:

هو: أبو ميمونة دراس بن إسماعيل الفاسي.

مكانته وأثره في المذهب:

من الطبقة الخامسة من أهل أفريقيا.
كان من الحفاظ المعدودين، والأئمة المبرزين، من أهل الفضل والدين، وكان أحفظ أهل زمانه بمذهب مالك وأصحابه، وهو أول من أدخل مدونة سحنون مدينة فاس، وبه اشتهر مذهب مالك هناك.

شيوخه وتلاميذه:

من مشايخه: أبو بكر بن اللباد، وعلي بن أبي مطر.
ومن تلاميذه: أبو محمد بن أبي زيد، وأبو الحسن القابسي، وأبو الفرج بن عبدوس، وخلف بن أبي جعفر.

وفاته:

توفي بفاس سنة سبع وخمسين وثلاث مائة.

دراسة عن المذهب المالكي في المغرب خلال القرن الرابع الهجري من خلال بعض أعلامه "دراس بن اسماعيل وتلامذته نموذجا"

للباحث الأستاذ عبد الرزاق وورقية

ندوة المذهب المالكي في المغرب من الموطأ إلى المدونة (مارس 2008)

المذهب المالكي في المغرب خلال القرن الرابع الهجري من خلال بعض أعلامه «دراس بن إسماعيل وتلامذته نموذجا»

أ.د عبد الرزاق وورقية
كلية متعددة التخصصات بتازة

مقدمة

يعتبر القرن الرابع الهجري المرحلة الهامة التي تأسست فيها المدرسة المالكية في المغرب، هذه المرحلة بقدر ما هي واضحة من حيث التزام المغاربة بالمذهب المالكي ومدارستهم لكتبه إلا أنها تبقى غامضة من حيث الأعلام ودخول المدونة والشروح، وتشكل المدرسة المالكية المغربية...

لذلك ارتأيت البحث في هذا القرن لأجل التدقيق في بعض ما بلغنا عنه بخصوص أعلام المذهب، ولاسيما أن بعض التراجم تعتبر **الإمام دراس بن إسماعيل** (ت 357هـ) من أوائل الأعلام الذين درسوا الفقه المالكي بفاس، وكان له تلامذة وحلقات علم، بل وكانت لديه آراء فقهية حولها تشكلت أولى بذور الفقه المالكي المغربي. ولأجل ضبط أطراف هذا الموضوع حاولت التزام المحاور التالية :

- **المطلب الأول** : نبذة عن دخول المذهب المالكي إلى المغرب، والخلاف الواقع فيه.
- **المطلب الثاني** : دراس بن إسماعيل ترجمته وتكوينه العلمي.
- **المطلب الثالث** : مدرسته الفقهية المسماة «أصحاب أبي ميمونة».

المطلب الأول : نبذة عن دخول واستقرار المذهب المالكي بالمغرب، والخلاف الواقع فيه.

اختلف المؤرخون والفقهاء قديما والباحثون حديثا في الفترة بالضبط التي دخل فيها **المذهب المالكي المغرب، وفي الفقهاء الذين تشرفوا بالسبق في إدخال علم مالك إلى المغرب.**

ذهب جمهور المؤرخين إلى أن المذهب المالكي قد وصل إلى المغرب والإمام مالك مازال حيا، وهذا يعني أن في نهاية القرن الثاني تمكن تلامذة مالك من تبليغ علم إمامهم إلى المغاربة.

ويذهب آخرون إلى أن انتشار المذهب بالمغرب كان بعد ذلك بحوالي قرن من الزمان أويزيد...

فالفريق الأول يذهب إلى أن المذهب المالكي أدخله الرحالة المغاربة والأندلسيون من التلامذة الأوائل الذين لقوا مالكا وأخذوا عنه ومنهم : يحيى بن يحيى الليثي، والغازي بن قيس،....

والفريق الثاني : يذهب إلى أن رحلات الأندلسيين والأفارقة (من تونس) لم تكن لترسخ المذهب في المغرب الأقصى، وإنما تم ترسيخ المذهب على يد أبناء المغرب ممن جاء بعدهم من أمثال جبر الله الفاسي، ودراس بن إسماعيل، وعثمان بن مالك في القرن الرابع الهجري...

ويمكن الجمع بين الرأيين بالتمييز بين مستويين :

المستوى الأول : وهو دخول المذهب المالكي إلى المغرب، والمستوى الثاني : انتشاره واستقراره مذهبا معتمدا للمغاربة في الفتوى والقضاء.

فأما من حيث المستوى الأول : فقد تم دخول المذهب مبكرا، وأغلب الأخبار الصحيحة تدل على أن الفقه المالكي وصل إلى المغرب في حياة الإمام ويدل على هذا أمور كثيرة نذكر منها ثلاثا :

أولا : رحلات الأندلسيين والتي في الغالب مرت عبر المغرب سبتة وفاس، ونذكر من بين تلامذة مالك الأندلسيين، الغازي بن قيس، **زياد أبو عبد الله بن عبد الرحمن شبطون (ت 193هـ)**[1] **ويحيى بن يحيى الليثي الأندلسي (ت 234هـ) يدخلان الموطأ الأندلس، ومن جاء بعدهم كعبد الملك بن حبيب** حيث قال ابن خلدون «ورحل من

(1) هو زياد أبو عبد الله بن عبد الرحمن قرطبي يلقب بشبطون من الطبقة الأولى من أصحاب مالك من الأندلس ... سمع من مالك الموطأ وله عنه في الفتاوى كتاب سماع معروف بسماع زياد وسمع من معاوية بن صالح القاضي... ويروى عن جماعة منهم الليث بن سعد وعبد الله بن عمر العمري وابن عيينة وغيرهم وكان زياد أول من أدخل الاندلس موطأ مالك متفقها بالسماع عنه ثم تلاه يحيى بن يحيى وكان أهل المدينة يسمون زيادا فقيه الأندلس وكانت له إلى مالك رحلتان وكان واحد زمانه زهدا وورعا توفى سنة ثلاث وقيل أربع وقيل تسع وتسعين ومائة ونجب ولده بقرطبة وكان فيهم عدة من أهل الجلالة والفضل والقضاء والعلم والخير» ينظر الديباج المذهب، ابن فرحون اليعمري : 1/118-119، ط.د.ت، دار الكتب العلمية، بيروت.

الأندلس عبد الملك بن حبيب فأخذ عن ابن القاسم وطبقته وبث مذهب مالك في الأندلس ودون فيه كتاب الواضحة ثم دون العتبي من تلامذته كتاب العتبية»[2].

الأمر الثاني : الوفود الأندلسية والتونسية التي وفدت على المولى إدريس عندما استقر سلطانه وأغلبهم من علماء المذهب المالكي وقد استقضى منهم أحد تلامذة الإمام مالك وهو **عامر بن محمد القيسي**[3] إضافة إلى الفقهاء المالكية الأندلسيين الهاربين من فتنة الحكم الربضي[4]، حيث استقروا بعدوة الأندلس بفاس.

ثالثا : رحلة المغاربة أنفسهم إلى الإمام مالك والأخذ عنه، قال ابن خلدون : «وأما مالك رحمه الله تعالى فاختص بمذهبه أهل المغرب والأندلس وإن كان يوجد في غيرهم إلا أنهم لم يقلدوا غيره إلا في القليل لما أن رحلتهم كانت غالبا إلى الحجاز وهو منتهى سفرهم»[5].

أما على المستوى الثاني وهو الانتشار والاستقرار فقد تم لاحقا عبر فترات وجهود متضافرة لعلماء المذهب من أهل فاس والأندلسيين والسبتيين والقرويين الذين استقروا بفاس، وتوجت هذه الجهود بظهور المدرسة المالكية بفاس برياسة الإمام دراس بن إسماعيل رحمه الله.

المطلب الثاني : دراس بن إسماعيل : نبذة عن حياته وتكوينه العلمي

1- اسمه ونسبه :

هو الشيخ الفقيه الصالح الفاضل[6] دراس بن إسماعيل من أهل مدينة فاس يكنى : أبا ميمونة[7]، قال الجزنائي : «وسمي دراس لكثرة درسه العلم»[8] وكان أبو

---

(2) مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن ابن خلدون : 219/1، ط 1، 1997م، دار القلم، بيروت.

(3) كتاب الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، أحمد الناصري : 219/1، ط 1، 1997م، دار الكتاب، الدار البيضاء.

(4) هو الأمير الحكم بن هشام تمتد فترة حكمه بين 180هـ و206هـ. انظر بغية الملتمس، الضبي : 14، ط 1967م، دار الكاتب العربي.

(5) مقدمة ابن خلدون 449/1.

(6) كتاب الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى : 261/1.

(7) تاريخ علماء الأندلس، ابن الفرضي : 146، ط 1966م، الدار المصرية للتأليف والترجمة.

(8) جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس، علي الجَزنائي (ق 8هـ) : 20-21، تحقيق عبد الوهاب ابن منصور، ط 2، 1411هـ/1991م. المطبعة الملكية، الرباط.

ميمونة من الحفاظ المعدودين، والأئمة المبرزين من أهل الفضل والدين، ممن له الأمانة بمذهب مالك رضي الله عنه[9] وهو أول من أدخل مدونة سحنون مدينة فاس[10].

2-/تكوينه وشخصيته العلمية :

إن الإمام دراسا نشأ في فاس ورحل إلى كثير من المعاقل العلمية للمذهب المالكي المعروفة في زمانه، تردد على الأندلس مرات عديدة، ومكث بتونس مدة، والإسكندرية، كما رحل للحج، وعاد إلى مدينة فاس زنبيل علم حيث جمع من هذه الآفاق ومن شيوخها العلم الغزير وأخذ منه بحظ وافر، حتى أصبح لا يضاهى في تونس وفاس، وقد عثرنا في التراجم على شحها على ما يفيد هذا التكوين كما سوف يتبين من خلال ذكر نبذ عن رحلاته وشيوخه وشخصيته العلمية...

3- رحلاته العلمية :

كانت الرحلة ضرورية في عرف كثير من العلماء لطلب العلم والالتقاء بالأئمة، ولم يخرج دراس عن هذه القاعدة فقد طاف أغلب أرجاء العالم الإسلامي يجمع من العلم شوارده ومن الفقه فوائده وفيما يلي نبذة عن أهم محطاته في رحلته العلمية :

- **رحلة الحج :**

ذكر ابن الفرضي أن للإمام دراس رحلة إلى الحج، وأخذ فيها عن علماء المالكية في طريقه حيث قال «وله - أي دراس بن إسماعيل - رحلة حج فيها وسمع من علي بن أبي مطر بالإسكندرية كتاب ابن المواز»[11].

- **تونس :**

تونس أوافريقية كما اشتهرت في اصطلاحات المترجمين والمؤرخين كانت أيضا معقلا لمالكية الغرب الإسلامي فيها اشتهر الأئمة الكبار، وقد ثبت أن دراسا مكث بها مدة ليست باليسيرة، وواظب فيها الحضور في مجلس أبي بكر بن اللباد، وأخذ عنه ولا سيما كتاب الموطأ الذي كان يقرأه عليه.

---

(9) جني زهرة الآس : 20-21.

(10) كتاب الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى : 1/261.

(11) جني زهرة الآس : 20-21.

• مصر الإسكندرية :

في طريقه إلى الحج مر بمدينة الإسكندرية وهي يومئذ إحدى مراكز المذهب المالكي لوجود مجموعة من الأئمة بها وقد أخذ عنهم الشيخ دراس ومنهم علي بن أبي مطر الذي أخذ عنه كتاب ابن المواز[12] كما سيأتي.

• الأندلس :

إن دخول المذهب المالكي إلى الأندلس مبكرا جعله يترسخ عند أهلها، وتتوطد دعائمه ويكثر علماؤه وفقهاؤه، ولم يصل القرن الرابع حتى كان مذهب إمام دار الهجرة معتمدا في القضاء والفتوى والشورى وجميع إدارات الدولة وفي هذه الفترة سيرحل دراس بن إسماعيل إلى الأندلس وستتكرر رحلته هذه مرات، في المرات الأولى كانت رحلته رحلة طلب حيث دخل دراس الأندلس طالبا يتلقى ويتعلم، والمرات الأخيرة كان فيها أستاذا وشيخا يأخذ عنه الأندلسيون وينتفعون بعلمه، قال ابن الفرضي : «ودخل أبو ميمونة الأندلس، وتكرر وجوده فيها طالبا ومجاهدا، فكان مترددا في الثغر. سمع منه غير واحد»[13].

• سبتة :

مدينة سبتة أيضا كانت حاضرة علمية أنذاك مر بها دراس في رحلته إلى الأندلس، وأخذ عنه كثير من كبار السبتيين وسمعوا منه، قال القاضي عياض السبتي : «وأراه رحل لبلدنا. فقد حدث عنه أقوام، من كبارهم»[14].

4- شيوخه :

تبعا لما سبق من كثرة رحلات الإمام دراس العلمية يتبين أن له شيوخاً في كل بلد مر به أخذ عنهم، إلا أن التراجم لا تفيدنا إلا بالقليل عن ذلك، ومن أبرز الشيوخ الذين ركز عليهم كل من ترجم لدراس، شيخان اثنان هما : الإمام المالكي المصري علي بن أبي مطر الإسكندري (ت 330هـ)، وأبو بكر بن اللباد الأفريقي التونسي (ت 333هـ).

---

(12) جني زهرة الآس : 20-21.

(13) تاريخ ابن الفرضي : 136.

(14) ترتيب المدارك، القاضي عياض : 78/2، ضبطه وصححه محمد سالم هاشم، ط 1998م، دار الكتب العلمية، بيروت.

• **ابن أبي مطر الإسكندري (ت 330هـ)**

وهو «علي بن عبد الله بن أبي مطر المعافري الإسكندري الفقيه العالم قاضي الإسكندرية روى عن محمد بن عبد الله بن ميمون صاحب الوليد بن مسلم وغيره توفي سنة ثلاثين وثلاثمائة عن مائة سنة»[15].

وقد أخذ عنه الإمام دراس كتاب ابن المواز[16] الذي يعتبر من أمهات المصادر في المذهب المالكي وقد رجحه بعضهم[17] على غيرها من الأمهات، ويعتبر الإمام أبو ميمونة من الناقلين القلائل لعلم ابن المواز لفائدة مالكية الغرب الإسلامي حتى أن الإمام ابن أبي زيد القيرواني أومأ إلى هذا في مقدمة كتابه النوادر والزيادات حيث ورد فيها من كلام ابن أبي زيد القيرواني : «وأما كتب ابن المَوّاز فروايتي عن دراس بن إسماعيل عن علي بن عبد الله بن أبي مطر عن محمد بن إبراهيم بن المواز»[18] ولم يذكر شيخا غيره نقل عنه كتاب ابن المواز.

• **أبوبكر بن اللباد (ت 333هـ)**[19]

يعد أبو بكر بن اللباد أحد الأئمة المالكية الراسخين المتقدمين، أخذ عنه دراس بن إسماعيل الكثير من فقه مالك، وقارن رواية الموطأ من حفظه على رواية ابن وهب التي كانت مكتوبة عند ابن اللباد...

وهناك شيوخ آخرون كثر لدراس من الأندلسيين والتونسيين والمصريين حيث لاشك أن المكانة العلمية التي حازها لم تكن من فراغ، وإنما جاءت بعد مرحلة طويلة من الطلب، والأخذ عن الأساتذة، ومع هذا فمصادر ترجمته لا تخبرنا بالكثير في هذا الشأن.

---

(15) الديباج المذهب : 214/1.

(16) هو محمد بن إبراهيم الإسكندري بن زياد المعروف بابن المواز تفقه بابن الماجشون وابن عبد الحكم واعتمد على أصبغ، وروى عن ابن القاسم صغيرا، وكان راسخا في الفقه والفتيا عالما في ذلك، وله كتابه المشهور الكبير وهو أجل كتاب ألفه المالكيون وأصحه مسائل وأبسطه كلاما، وقد رجحه القابسي على سائر الأمهات، وتوفي 269هـ، تنظر ترجمته في الديباج المذهب : 232/1-233.

(17) رجحها الإمام أبو الحسن القابسي تلميذ دراس بن إسماعيل، ينظر الديباج المذهب : 232/1.

(18) النوادر والزيادات، ابن أبي زيد القيرواني : 13/1، تحقيق د. عبد الفتاح محمد الحلو، ط 1999، دار الغرب الإسلامي بيروت.

(19) هو أبو بكر بن اللباد واسمه محمد بن محمد بن وشاح... سمع من الشيوخ الذين كانوا في وقته : كأبي بكر بن عبد العزيز الأندلسي، المعروف بابن الجزار. وحبيب بن نصر، وأبي عمران البغدادي، وأحمد بن يزيد، وأبي الطاهر، ومحمد بن المنذر، والزبيري، وأبي محمد عبد الله بن محمد بن معمر، وزيدان، وغيرهم. سمع منه حماد بن إلياس، وتفقه به أبو محمد بن أبي زيد رحمه الله تعالى، وابن حارث، وغيرهم. وممن روى عنه زياد بن عبد الرحمن القروي، ومحمد بن الناظور، ودراس بن اسماعيل. ولم يذكر له رحلة ولا حجّ. تنظر ترجمته في ترتيب المدارك : 21/2.

5- قوة حفظ دراس لعلم مالك

تميز الإمام دراس بن إسماعيل بقوة الحفظ ودقة الضبط، وقد ظهر هذا في مقابلاته العلمية مع أئمة زمانه، جاء في ترتيب المدارك : «قال المالكي : كان أبو ميمونة من الحفّاظ المعدودين، والأئمة المبرّزين من أهل الفضل والدين، ولما طرأ إلى القيروان، اطلع الناس من حفظه، على أمر عظيم. حتى كان يقال : ليس في وقته، أحفظ منه»[20].

6- شخصيته العلمية

وتميز دراس أيضا بقوة شخصيته العلمية حتى وصف بالشفوف العلمي وهذا ما تدل عليه قصته مع شيخه ابن اللباد حينما اختلف معه في كلمة الموطأ وقد أورد القاضي عياض القصة في مداركه حيث قال : «وذكر المالكي أنه كان أحفظ أهل زمانه بمذهب مالك، وأصحابه. وذكر عن بعض أصحاب أبي بكر ابن اللباد، قال : كنت يوماً جالساً في مجلس أبي بكر ابن اللباد، وأبو ميمونة يقرأ عليه الموطأ فتواقعا في حديث، فخالفه فيه شيخنا. وقال أبو ميمونة : كتابي هذا قرأته بالأندلس، وبفاس. فأمر أبو بكر بإخراج موطأ ابن وهب، وكتب كثيرة، حتى تقرر عندهم حقيقة الحرف الذي اختلفوا فيه. فلما نظر أبو بكر إلى الكتب والرزم قد حلت ضاق، وقال لأبي ميمونة : يا هذا فيك استقصاء. وما أظنك تريد إلا أن تكون ديكاً. فقال أبو ميمونة : أكرمك الله. لو شئت أن أكون ديكاً في غير بلدي، كنت. فقال له أبو بكر : قم عنا ولا تغشَ لي مجلساً. قم يا هذا. واستحثه. فأخذ أبو ميمونة كتابه، ومجرته، ووقف وقال : اللهم إنك تشهد. قال المالكي : فخرجت في أثره، ومشيت معه، حتى أبعدنا وهو يسترجع. فقلت له : اجلس على هذا الدكان، حتى أرجع إلى الشيخ، وأعود إليك. فرجعت وجلست بين يدي الشيخ، وقلت : أصلحك الله أنت شيخنا وإمامنا، وهذا رجل له قصد إليك، فترى إذا سألك الله لم طردته، أتقول له، لأنه قال لو شئت أن أكون ديكاً في غير بلدي. ما فعلتَ. أصلحك الله. وقلت مقبول عنك، ومسموع. فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون. وكررها. ثم قال : يا أخي، ردّ الرجل، ويدع المعاتبة. فسرت إليه فرجع معي. فسلّم على الشيخ، وجعل بعد ذلك يختلف ويحضر السماع، والشيخ غير منبسط له. فشكا ذلك إلى بعض أصحابه. فقالوا له : زوجته شابة. فلو أهديت إليها عطّفته عليك، وأصلحتَ لك جانبه. فقال : والله لا أخذت العلم من طريق الرشوة أبداً، والشيخ قد انتشرت إمامته، وحلّ في قلوب الناس بالمحل الذي علمتم. وما قسّى قلبه عليّ، إلا لأمر تقدم لي، عوقبت

---

(20) ترتيب المدارك : 2/78.

عليه. ولكن، والله ما أصلحت إلا ما بيني وبين الله، وينتهي الأمر إلى ما شاء. قال : فما طالت المدة، حتى كان إذا دخل أبو ميمونة قال أبو بكر له : يا أبا ميمونة، أشركنا في صالح دعائك»[21].

7- روايته لحديث في فضل مدينة فاس

وقد روى حديثا عن ابن أبي مطر بسنده الذي يبدو أنه متصل إلى النبي صلى الله عليه وسلم في تنبؤ النبي صلى الله عليه وسلم بمدينة فاس وفضلها جاء في الأنيس المطرب في سياق بيان فضل مدينة فاس : «ويكفي من فضلها وشرفها ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في وصفها، فإنه وُجد في كتاب دراس بن إسماعيل أبي ميمونة بخط يده رحمه الله تعالى : حدثني ابن مطر بالإسكندرية قال : حدثني محمد بن إبراهيم المواز، عن عبد الرحمان بن القاسم، عن مالك بن أنس، عن محمد بن شهاب الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ستكون بالمغرب مدينة تسمى فاس أهلها أقوم أهل المغرب قبلة وأكثرهم صلاة، أهلها على السنة والجماعة ومنهاج الحق لا يزالون متمسكين به لا يضرهم من خالفهم، يدفع الله عنهم ما يكرهون إلى يوم القيامة»[22].

وبغض النظر عن صحة هذا الحديث[23] فالشاهد عندنا أن الإمام دراسا له تميز كبير على مستوى الحفظ لعلم مالك عن أقرانه في عصره، ويزيده أهمية كونه مالكيا مغربيا فاسيا رحل إلى أغلب بقاع الدنيا ورجع إلى بلده معتزا بموطنه، راويا لبشارة النبوة بعلو شأن مدينته، هذا على خلاف من سبقوه من الفقهاء الذين لم يتركوا بصماتهم على فاس خاصة وعلى المغرب عامة، قبل ظهوره حتى أنه كانت تذكر المراكز الأخرى كقرطبة وتونس ولا تذكر فاس.

8- شهادة العلماء فيه

هذا الإمام الفاسي المغربي استطاع بنبوغه وكفاءته العلمية أن يجذب ثناء العلماء من بعده، وبقي حسن صيته متداولا فيما بعده ومن الأئمة الذين أثنوا عليه :

---

(21) ترتيب المدارك : 2/78-79.

(22) الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، علي ابن أبي زرع الفاسي : 45، مراجعة عبد الوهاب ابن منصور مؤرخ المملكة، ط 2، 1420هـ/1999م. المطبعة الملكية – الرباط.

(23) هذا الحديث لم أجده في مصادر الحديث المعتمدة.

- القاضي أبو الوليد ابن الفرضي، قال : كان أبو ميمونة فقيهاً حافظاً للرأي على مذهب مالك[24].
- الإمام أبو عبد الله بن عتاب (ت 462هـ) قال : كان يعرف بأبي ميمونة المحدّث.
- الإمام أبو الوليد الباجي حيث قال : كان شيخاً صالحاً.

9- تلامذة دراس بن إسماعيل

إن استجماع العلامة دراس لعلم مالك جعله مرجعا لكثير من طلاب وقته في الغرب الإسلامي فنشأ له تلامذة في تونس وفاس وسبتة والأندلس، وتخرج على يديه جمع غفير من الأعلام الذين نقلوا بأمانة الفقه المالكي ونشروه في هذه الربوع، وأصبحوا معتمد من جاء بعدهم.

أ- تلامذته من سبتة :

أخذ كبار علماء سبتة عن دراس بن إسماعيل كما مر وعلى رأسهم :

- **عبدالرحيم بن أحمد الكتامي المعروف بابن العجوز (ت 413هـ)**

قال الجزنائي في ترجمته «عبدالرحيم بن أحمد الكتامي أبو عبدالرحمن المعروف بابن العجوز سبتي من كبار قومه كتامة... وكانت له ولأبيه فيهم وفي المغرب **رياسة بالعلم وإليه كانت الرحلة في المغرب في وقته وعليه كانت تدور الفتيا وله عقب نجباء في العلم بلغوا إلى خمسة أئمة إمام ابن إمام فضلاء في عصرهم** ورحل عبدالرحيم إلى الأندلس وأفريقية ولازم الفقيه أبا محمد بن أبي زيد واختص به وسمع منه كتبه النوادر والمختصر وجاء بهما وبغيرهما إلى سبتة **وسمع من دراس بن إسماعيل الفاسي** وأبي محمد الأصيلي ووهب بن ميسره الحجازي... أخذ عنه الناس بسبتة علما كثيرا وتفقهوا عليه وسمعوا منه كان من حفاظ المذهب العالمين به روى عنه جماعة من فقهاء سبتة... وفاس وتوفى سنة ثلاث عشرة وأربعمائة»[25].

وممن تتلمذ عليه أيضا بسبتة : **أبو عبد الله محمد بن علي بن الشيخ، وأخوه حسن بن علي بن الشيخ، وعمر بن ميمون بن بكر القيسي، وحمود بن غالب الهمداني** وغيره، قال القاضي عياض : «وأراه رحل لبلدنا. فقد حدث عنه أقوام، من كبارهم، كأبي عبد الله محمد بن علي بن الشيخ، وأخيه حسن بن علي، وعمر بن ميمون بن بكر القيس وحمود بن غالب الهمداني وغيره»[26].

---

(24) تاريخ علماء الأندلس : 146.

(25) جني زهرة الآس : 20-21.

(26) ترتيب المدارك : 2/78.

ب - تلامذته من تونس :

مدرسة دراس التونسية يترأسها أبو الحسن القابسي، وابن أبي زيد القيرواني، وكلاهما تلميذان لدراس بن إسماعيل :

- **أبو الحسن القابسي**

«الإمام الحافظ الفقيه العلامة عالم المغرب أبو الحسن علي ابن محمد بن خلف المعافري القروي القابسي المالكي صاحب الملخص، حج وسمع من حمزة بن محمد الكتاني الحافظ وأبي زيد المروزي وابن مسرور الدباغ بإفريقية ودراس بن إسماعيل وطائفة، وكان عارفا بالعلل والرجال والفقه والأصول والكلام مصنفا يقظا دينا تقيا وكان ضريرا وهو من أصح العلماء كتبا كتب له ثقات أصحابه وضبط له بمكة صحيح البخاري وحرره وأتقنه رفيقه الإمام أبو محمد الأصيلي»[27].

ومن يتفحص كتب المالكية من الشروح والموسوعات الكبرى يجد أن اسم القابسي يتردد فيها كثيرا وما ذلك إلا لأن تلميذ دراس كان قوله معتمدا ومعولا عليه في المذهب المالكي، ومن ثم تتبين أهمية مشيخة دراس للقابسي.

- **ابن أبي زيد القيرواني :**

غني عن التعريف وأشهر من أن يعرف إذ هو من أبرز أئمة المالكية في زمانه، الإمام العلامة القدوة الفقيه عالم أهل المغرب أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني المالكي ويقال له مالك الصغير، قال القاضي عياض : حاز رئاسة الدين والدنيا ورحل إليه من الأقطار ونجب أصحابه وكثر الآخذون عنه وهو الذي لخص المذهب وملأ البلاد من تواليفه تفقه بفقهاء القيروان وعول على أبي بكر بن اللباد وأخذ عن محمد بن مسرور الحجام والعسال وحج فسمع من أبي سعيد بن الأعرابي ومحمد بن الفتح والحسن بن نصر السوسي ودراس بن إسماعيل وغيرهم.

سمع منه خلق كثير منهم الفقيه عبد الرحيم بن العجوز السبتي والفقيه عبد الله ابن غالب السبتي...[28].

أخذ ابن أبي زيد الملقب بمالك الصغير علم ابن المواز عن دراس ابن إسماعيل، واعتمده في صياغة كتابه النادر : النوادر والزيادات وبث ذلك العلم عبر أرجاء الغرب

---

(27) سير أعلام النبلاء، محمد الذهبي : 17/158-159، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، ط 9، 1413هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.

(28) سير أعلام النبلاء : 17/ص 10.

الإسلامي حتى أننا لا نكاد نجد مالكيا بارزا من المغرب والأندلس إلا وأخذ عنه ابن أبي زيد رحمه الله.

ج - تلامذته من الأندلس :

قال ابن الفرضي في تاريخه : « ودخل - أي دراس - أيضاً الأندلس مجاهداً، وطالباً. فتردد بها في الثغر، سمع منه غير واحد، وحدث عنه **عبدوس بن محمد الثغري أبو الفرج**، وغيره.[29].

وقال عياض في مداركه «ودخل - أي دراس - أيضاً الأندلس مجاهداً، وطالباً. فتردد بها في الثغر، فسمع منه **أبو الفرج بن عبدوس، وخلف بن أبي جعفر**، وغير واحد»[30].

وهكذا يعد من تلامذته الأندلسيين :

- **أبو المطرف عبد الرحمن بن خلف التجيبي الإقليشي (ولد سنة 300هـ...)**

هو أبو المطرف عبد الرحمن بن خلف سدمون التجيبي الإقليشي[31] الأندلسي روى عن أبي عثمان سعيد بن سالم المجريطي وأبي ميمونة دارس بن إسماعيل فقيه فاس[32].

- **أبو الفرج عبدوس بن محمد الثغري (ت 390هـ)**

قال ابن الفرضي «عبدوس بن محمد بن عبدوس من أهل طليطلة، يكنى أبا الفرج... سمع منه الناس كثيرا... وكان ثقة خيارا حسن الضبط لما كتب... توفي بحاضرة طليطلة سنة 390هـ»[33].

10- وفاته :

قال الجزنائي «توفي بفاس بلده سنة سبع وخمسين وثلاثمائة وقبره بخارج باب الجيزين[34] منها معروف، والدعاء عليه مجاب، وله بفاس مسجد يعرف به».

---

(29) تاريخ علماء الأندلس : 146.

(30) ترتيب المدارك : 2/78-79.

(31) نسبة إلى إقليش وهي بلدة من أعمال طليطلة.

(32) تاريخ علماء الأندلس، ابن الفرضي : 267، وينظر أيضا : نفح الطيب، أحمد المقري التلمساني : 2/1113-1114، تحقيق د.إحسان عباس، ط 1968م دار صادر بيروت .

(33) تاريخ ابن الفرضي : 340-341.

(34) قال المرحوم عبد الوهاب ابن منصور : «هو الباب المعروف اليوم بباب الحمراء» انظر هامش تحقيقه لكتاب : جني زهرة الآس : 20-21.

وقد جدد هذا المسجد السلطان أبو عنان المريني، وجعل هناك رخامة منقوشة باسمه وتاريخ موته ونصبت عند رأسه في أول سنة 754هـ[35].

المطلب الثالث : مدرسته الفقهية المسماة «أصحاب أبي ميمونة»

أسس أبو ميمونة دراس بن إسماعيل مدرسة فقهية مالكية بفاس وعرف بها، ذكر الجزنائيئأن جماعة من الصلحاء والعباد التزموا جامع الأندلس وتفرغوا فيه للعبادة بعد تحصيل العلم ويقصدهم الناس للفتاوي وطلب العلم والأدب والتماس الدعاء وذكر منهم الفقيه جبر الله بن القاسم نزيل عدوة الأندلسيين بفاس فقال : وهو ممن أدخل علم مالك إليها وهو من مشاهير فقهائها ومتقدميهم... وهو ممن لحق دراسا ابن اسماعيل رحمه الله. كان جبر الله هذا مطلعا على الفقه المالكي اطلاعا متينا حتى أنه استطاع أن يجيب دراسا عن كل ما تضمنه كتاب ابن المواز[36].

فبالرغم من شح المصادر في إفادتنا عن تفاصيل هذه المدرسة الفقهية التي نشأت بأثر واضح للفقيه دراس، إلا أنه عند التقصي والبحث عثرنا على نقل نفيس نادر يشعر بوجود هذه المدرسة واستمرارها لقرون، هذا النقل أورده الإمام الحطاب في مواهب الجليل نقلا عن الفقيه أبي علي ناصر المشذالي في مسألة فقهية دقيقة وهذا نصه : «قال المشذالي[37] (ق 7 هـ) ومنه مسألة الهيدورة تكون النجاسة بأحد وجهيها دون الآخر فاختلف في ذلك أصحاب الفقيه أبي ميمونة فقيه فاس فمنهم من أجاز ومنهم من منع»[38].

مسألة الهيدورة هاته مسألة متداولة، وقد تكلم فيها الفقهاء كثيرا، إلا أن الشاهد عندنا هنا هو عبارة «**أصحاب الفقيه أبي ميمونة فقيه فاس**» والغالب أن المقصود هنا بأبي ميمونة هو الإمام دراس بن إسماعيل، والظاهر أنه كان لديه أصحاب وأتباع يتبعون طريقته في التفقه على مذهب مالك ولكثرة درسه تخرج على يديه علماء

---

(35) جني زهرة الآس : 20-21.

(36) سلوة الأنفاس، محمد بن جعفر الكتاني : 1/406-407هـ، ط 1، 1425هـ - 2004م، دار الثقافة، الدار البيضاء.

(37) هو أبوعلي ناصر المشذالي من أعلام القرن 7 هـ ارتحل من زواوة في آخر المئة السابعة وأدرك تلميذ أبي عمروابن الحاجب وأخذ عنهم ولقن تعليمهم وقرأ مع شهاب الدين القرافي في مجالس واحدة وحذق في العقليات والنقليات ورجع إلى المغرب بعلم كثير وتعليم مفيد ونزل ببجاية واتصل سند تعليمه في طلبتها، انظر أبجد العلوم، القنوجي : 1/183، تحقيق عبد الجبار زكار، ط 1978م، دار الكتب العلمية بيروت.

(38) وقد أورد المشذالي هذا النص في حاشيته على المدونة، ينظر مواهب الجليل، الحطاب : 1/137، ط.د.ت، دار الفكر بيروت.

وفقهاء وتسموا باسمه، وأصبحت لهم آراء فقهية اشتهروا بها، وعند البحث نجد أن جما غفيرا من فقهاء فاس عاصروا دراسا منهم من أخذ عنه مباشرة، ومنهم من جاء بعده وأخذ عن تلامذته، ونذكر البعض منهم مما تيسر جمعه في هذا العرض :

1- موسى بن يحيى الصديني أبو هارون[39] (ت 388هـ)

من تلامذته تلميذ دراس عبدوس أبو الفرج[40]، قال القاضي عياض في ترجمته «**موسى بن يحيى الصديني، رحمه الله** من أهل فاس. كنيته أبو هارون، كبير فقهاء بلده، وشيخهم الشهير في وقته، وبعده. قال القاضي أبو الوليد بن الفرضي : كان فقيهاً عالماً بالرأي حافظاً للمسائل، وله رحلة إلى المشرق، سمع ولقي فيها أبا جعفر الأسواني، المالكي، وغيره. ودخل الأندلس، وتردد بالثغر، وكتب عنه هناك. حدّث عنه أبو الفرج عبدوس، وتوفي بفاس يوم الجمعة، يوم عرفة، سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة، وهو ابن سبع وسبعين سنة»[41].

2- أبو مروان عبد الملك الكوري (ت 407هـ)

«أبو مروان عبد الملك الكوري من أصحاب أبي محمد بن أبي زيد - تلميذ دراس كما أسلفنا - من فقهاء فاس، ومعظمها بعدوة الأندلس منها، وبه تفقه عثمان ابن مالك، وغيره من الفاسيين، وتوفي سنة سبع وأربعماية»[42].

3- أبو عمران الفاسي (ت 430هـ)

الإمام الكبير العلامة عالم القيروان أبو عمران موسى بن عيسى بن أبي حاج يحج البربري الغفجومي الزناتي الفاسي المالكي أحد الأعلام، تفقه بأبي الحسن القابسي - تلميذ دراس - وهو أكبر تلامذته ودخل إلى الأندلس فتفقه بأبي محمد الأصيلي وسمع من عبد الوارث بن سفيان وسعيد بن نصر وأحمد بن القاسم التاهرتي كان أبو عمران من أعلم الناس وأحفظهم جمع حفظ الفقه إلى الحديث ومعرفة معانيه وكان يقرأ القراءات ويجودها ويعرف الرجال والجرح والتعديل أخذ عنه الناس من أقطار المغرب[43].

---

(39) تنظر ترجمته في ترتيب المدارك : 173/2.

(40) ينظر تاريخ ابن الفرضي : 150/2.

(41) ترتيب المدارك : 173/2.

(42) ترتيب المدارك : 233/2.

(43) سير أعلام النبلاء : 545/17، وترتيب المدارك : 280/2.

4- عثمان بن مالك الفاسي (ت 444هـ)

قال القاضي عياض : «من أهل المغرب الأقصى عثمان بن مالك فقيه فاس، وزعيم فقهاء المغرب في وقته، وعنه أخذ فقهاء فاس، وتفقهوا به. منهم أبو بكر ابنه. وأبو بكر ابن الخياط وغيرهم. ولهم عنه تعليق على المدونة. تفقه بفقهاء بلده، على أبي مروان الأزدي. توفي سنة أربع وأربعين، وأربعماية»[44].

وجاء في الديباج «وممن لم ير مالكا من أهل المغرب الأقصى عثمان بن مالك فقيه فاس وزعيم فقهاء المغرب في وقته أخذ عنه فقهاء فاس وتفقهوا عليه وله تعاليق على المدونة ومن كتاب الصلة»[45].

وينضاف إلى هؤلاء التلامذة في مدرسة فاس الملقبة بـ«أصحاب أبي ميمونة»، تلامذته من بلدان أخرى كالأندلس وتونس وسبتة، حيث أشع تلميذا دراس : أبو الحسن القابسي وأبن أبي زيد بنور علمهما على هذين البلدين، فتجدد العهد بالفقه المالكي وأصبح لهم الشأن الأعلى في المذهب.

خاتمة :

قد حاولنا في عرضنا هذا أن نجمع بعض ما جادت به قريحة التراجم الشحيحة، ولشحها كان يحدونا يأس في بعض الأحيان من العثور على شيء في الموضوع، إلا أنه والحمد لله قد ظفرنا ببعض المقصود مما يسمح لنا بالقول : إن الإمام دراسا يعتبر بحق مؤسس ومرسخ المذهب المالكي بفاس، بل يعتبر الحلقة الضرورية لبلوغ علم مالك إلى أرجاء الغرب الإسلامي في عصره، فكتاب ابن المواز الذي أوصله إلى فقهاء المذهب الكبار من عيار ابن أبي زيد ليس بالأمر اليسير، وتلامذته كان لهم الشأن الأعلى والقدم الراسخة في ضبط فقه المذهب وتعليمه للناس، ومدرسة دراس ولاسيما بفاس كانت مرجعا يستند إليه العلماء من كل الآفاق.

وإذا ثبت هذا كما أسلفنا، يليق بالباحثين في المذهب المالكي اليوم التنقيب عن معالم مدرسة دراس الفقهية وإبرازها وبناء معرفة صحيحة بتاريخ الفقه المالكي بالمغرب، والبحث عن مؤلفات المرحلة ولاسيما أن هناك إشارات تفيد أن دراسا نفسه ترك شيئا مكتوبا بخط يده كما أسلفنا، فضلا عن تلامذته الذين تذكر لهم التراجم مصنفات نفيسة.

---

(44) ترتيب المدارك : 332/2.

(45) الديباج المذهب ج 1/ ص 188.

دراسة للأستاذ محمد بنعبد الجليل حول وثائق مسجد سيدي الدراس بن اسماعيل ونماذج من تعيين الأئمة و أحباس المحراب

كلية الآداب سايس بفاس

ندوة المذهب المالكي في المغرب من الموطأ الى المدونة (مارس 2008)

من وثائق مسجد سيدي الدراس - نماذج من تعيين الأئمة وأحباس المحراب

ذ. محمد بنعبد الجليل
كلية الآداب سايس بفاس

من يتحرى البحث في وثائق الأحباس سواء تعلق الأمر بحجج القرويين والمارستان وضمنه «أحباس الحرم الإدريسي» وما تعلق بأحباس فاس الجديد وكذلك من يتحرى البحث في زمامات حوالات الأضرحة والزوايا يشد انتباهه نموذجان من الوقف قيد كل واحد منهما بوصف لتمييزه ومراعاة رغبة لفظ المحبس، يبرز هذان القيدان على الشكل التالي:

أ- أحباس معينة
ب- وأحباس غير معينة

فالمعينة وهي كما نصت على ذلك وثيقة من وثائق الحوالة السليمانية هي التي (...تكون خاصة بالمساجد والأضرحة يصرف ريعها على إيقادها[1] وتفريشها وتنظيفها وإصلاح رباعها وإعانة خطبائها ومؤذنيها ومنشديها[2]، ومسمعيها[3] وحزابيها سواء منهم من اختص بقراءة ورش أومن اختص بالسبعية[4] بركن معين أوغير معين من المسجد[5]، أوممن ينخرطون في طلبة العلم الشريف، أو من يقرأ حزبا

(1) سرجها التي توقد لإنارة المسجد وغيره.
(2) المنشد قد يكون هو الشخص الذي يخرج الإمام من المقصورة ليستقر على المنبر وقد يكون هو الذي يتلو الحديث المشهور إثر جلوس الإمام بصوت رخيم يتحرى فيه نغمة من نغمات الآلة ويكون ذلك كله قبل الآذان.
(3) المسمع هو الذي يسمع المصلين صوت الإمام ليتابعوا الصلاة الجماعية.
(4) قراءة القرآن بالأحرف السبعة وتعني كذلك ختم القرآن في سبعة أيام وكان عبد الحق المريني قد شيد الخلوة على يسار محراب القرويين وجعل لها أحباسا خاصة بختم القرآن كل أسبوع، ولذلك سمي المكان بالسبعية، وباب السبعية من الأبواب المشهورة لمسجد القرويين.
(5) الموضع المعين نحو كرسي البخاري بظهر الصمعة وكذا توريق كتاب الحلية بجانب هذا الكرسي في حين أن كرسي الحلية يوجد بجوار محراب القرويين كما تنص على ذلك الحوالات.

من أحزاب أبي الضياء الشيخ خليل أومن يتعاطى دراسة وتدريس رسالة ابن أبي زيد القيرواني، وتدخل في المعينة أحباس مقابر المسلمين صيانة وحراسة، وتبييضا وكذا أحباس موتى الغرباء الذين يتوفون بفاس وليس لهم من يتكفل بهم، وتجهيزهم : من (غسل، وكفن، وحنوط، وأجرة الصحافة، (من يحمله) ومن يصلي عليه، ومن يحشره، ومن يضع اللحود، ومن يدر التراب، ومن يوكضه (يذكره))[6].

ويمكن أن يضاف إلى الأحباس المعينة أحباس أخرى خاصة بأصحاب الطرب الذين يأتون بآلاتهم بقصد أن يسمع المجانين والمرضى تلك الأصداء والنغمات.

وتشير وثائق متعددة سيما المعبر عنها بالتقاييد إلى أوقاف تندرج ضمن الأحباس المعينة خاصة تلك التي تتعلق بورود الطبيب لسائر المرضى بالحاضرة الفاسية، كما أن الزمامات تشير إلى أن جزءا آخر من هته الأحباس كان يصرف زمن الأعياد لمن يستحقه من علماء وأشراف، وذوي البيوتات الذين خانهم الدهر.

أما الأحباس غير المعينة فيخص فيها الوقف في شيء غير المعين شخصا أوجهة أوموضعا أومواضع بالمسجد الجامع، أومسجد الحي، كما يخص خزانات المدارس وغير ذلك نحو الوقف الذي خص به سيدي أحمد الشاوي السارية الثانية يمين عنزة القرويين المجود المرتل أحمد بن علي شعيب الدكالي ليعلم طلبة القرويين وفاس تجويد القرآن وترتيله[7].

ويمكن أن تلحق بهته الأحباس وصية المرأة المسماة فاطمة بنت المرحوم السيد أحمد السلاوي إذ أوصت : «أنها إذا قضى الله تعالى بوفاتها وأدبرت من الدنيا أيام حياتها، يخرج من جميع متخلفها من قليل الأشياء وكثيرها، جليلها وحقيرها، العقار وغيره الثلث الواحد يقسم أنصافا سوية النصف الأول يعطى لأولاد المرابط المرحوم سيدي عبد الرحمان بن المرابط المرحوم سيدي عبد السلام نجل الولي الأشهر والبركة الأنور سيدي أحمد بن يحيى نفعنا الله ببركاته الذكور والإناث فيه سواء يكون مالهم وملكهم، والنصف الآخر مستفاده يعود لمحراب مسجد القرويين ويبقى كذلك حبسا مؤبدا ووقفا مخلدا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين قصدت بذلك وجه الله العظيم والدار الآخرة..»[8].

---

(6) وثيقة خاصة.

(7) كنانيش ضريح سيدي أحمد الشاوي خروم مصورة منها بمكتبتي.

(8) الحوالة اليوسفية لوحة 18.

ويدخل ضمن هذا الوقف غير المعين ما خص به السلطان المولى الحسن كذلك محراب القرويين حيث حبس على من يقرأ (... حزبا من أحزاب الشيخ خليل تنفذ للطلبة الذين يقرأونه بعد صلاة عصر كل يوم أجرة معلومة من أحباس القرويين وتنفذ لهم صلة تعطى لهم من دار عديل...)[9].

ويبدوأن تخصيص ركن أوكرسي في أماكن متفرقة ومتعددة ينم عن وفرة مستفاد الأحباس المعينة وغير المعينة، لذا خصص المحبسون بعض الأماكن في جل مساجد وأضرحة وزوايا الحاضرة الفاسية بأوقاف غنية ولا غرابة إن أشارت حجج الأحباس إليها داخل وخارج هذه الحاضرة، وقد وجدت إشارات متعددة في «**كنانيش النظار**» أو في «**زمام المصارف**» أوفي الحوالات ابتداءا من الحوالة الإسماعيلية والعبد الرحمانية وغيرهما، تلفت النظر وتشده إلى هته الربوع من ذلك الإشارات المتعددة التي خص بها إمام الصلوات الليلية بمسجد سيدي دراس بفاس كما خص بها محرابه وصدر الأمر إبانه بتنفيذ ما أمر به ظهير التعيين كما نبه المعين للالتزام بشروط ما صُدِّر له.

فما مقصود المحبس من إفراد حبس محراب مسجد الدراس بن إسماعيل دون تعيين مادة الحبس، وهل كان مسجد دراس سابقا لكتاب زنقة مصمودة التي يعرف جزءا منها بزنقة المصاري.

أثيرت هذه الأسئلة بعد أن عثرنا في وثائق الأحباس على وثيقة تخبر بإصلاح عرفته مكاتب قرآنية أواخر عهد الحسن الأول رحمه الله وتمت على عهد ابنه عبد العزيز، تحمل «**شكل من يجب وإذنه سدده الله كما تحمل شكل النظار الذين جرى الإصلاح على عهدهم وهم على التوالي المرحوم العربي الشامي ناظر القرويين الذي اخترمته منيته قبل أن ينهي الإصلاح وتولى ابنه بعده عملية تتميم ما بدئ إنجازه لكنه لم يعمر في النظارة وأتم الإصلاح كل من الناظر كنون وصفيرة أيام السلطان عبد العزيز**».

يقول منطوق الوثيقة : «**جرى إصلاح بعض المكاتب بفاس من جملتها مكتب رشم العيون، مكتب سيد البياض، مكتب مصمودة، ومكتب المصاري**[10]**، المجاور لدار الناظر صفيرة...**».

فهل يمكن تعيين مكتب مصمودة والمصاري كلا على انفراد أم هما محل واحد باسمين مختلفين ؟ من يعرف أزقة فاس يدرك أن زنقة المصاري كانت قديما امتدادا

---

(9) صورة لهذا الوقف توجد في مكتبتي.

(10) أيهما أصبح يحمل اسم مسجد سيدي دراس ؟

للطريق الصاعد من عقبة بن بكار اتجاه شارع مصمودة حاليا مارا بجامع الحجاج تاركا الطريق الذاهب لسويقة سيدي عبد الله على اليمين، أم هل يقصد بمكتب المصاري المسيد المعلق الذي يقع فوق شباك «بلاعة مصمودة» المتعارف عليها شعبيا بـ «خطايفة العرايس».

لا شك أن مكتب مصمودة الواقع أعلى العقبة التي تتفرع من عقبة سيدي عبد الرحمان المليلي التي نعبرها صوب «**سوق البرادعيين**» هو المحل الذي يقع به مسجد سيدي دراس، إذ تشير المصادر المترجمة لهاته الشخصية العلمية : «... - كان سيدي دراس - بفاس يدرس بمسجد بحومة مصمودة وكان يقال إن قبلته أقوم قبلة وكان يدرس به الفقه بعد عودته من المشرق...»[11].

وتخبرنا السلوة وغيرها من المصادر أن ابن أبي زيد القيرواني نزل بالمسجد عندما أتى لزيارة شيخه الذي كان قد لقيه بالقيروان، وسمع منه «**كتاب ابن الموازي**»[12]، كما سمعه منه أبو علي الحسن الفاسي...».

ولعل ما ورد في ترجمة دراس بن إسماعيل المشار إليها أعلاه يؤكد ما ذهبت إليه ويحل إشكال مكتب المصاري ومكتب مصمودة رغم كونه لا يفصح عن تاريخ تحويل مكتب مصمودة إلى مسجد إن كان وقع، ذاك أن وثائق الأوقاف لا تشير فقط إلا إلى لفظ المسجد دون تقييده بوصف محدد، ومن بين هته الوثائق التي نعتمدها نسخة **من ظهير علوي شريف منيف الطابع العبد الرحماني بين حمدلته وتصليته وبداخله محمد بن عبد الرحمان الله وليه، وخطاب من يجب سدده الله بالاستقلال عقبه**، ونصه :

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

ابن عمنا الفقيه القاضي مولاي محمد بن عبد الرحمان سددك الله وسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

وبعد : فإنا نفذنا للفقيه السيد عمر بن سودة إمامة الصلوات الليلية بجامع أبي ميمونة دراس لكونه أحق بها من غيره الذي هو به وجعلنا له أربعة عشر مثقالا من مستفاد أحباسه إعانة له على ذلك فإن كانت تفي فذاك وإلا فيكمل له ما يخص - له كذا بالأصل - لكمالها من مستفاد أحباس المقابر لكونه دينا خيرا ذاكرا...

---

(11) محمد بن جعفر الكتاني، سلوة الأنفاس، الجزء الثاني، ص : 199، الطبعة الجديدة.
(12) كتاب في الفقه شهر بالموازية.

فالظن به أن يقوم بشرط المحبس أكثر من كثير الناس المنفذ لهم ذلك، فنفذ له جميع ما ذكر ولابد والسلام. 15 ذي القعدة 1279.

يفيدنا نص الظهير الموجه لقاضي فاس مولاي امحمد بن عبد الرحمان أن السلطان مولاي عبد الرحمان نفذ للفقيه السيد عمر بن سودة إمامة الصلوات الليلية معللا هذا التنفيذ بكون المنفذ له أحق بها من غيره، محليا الإمام الجليل بالذاكر الديِّن... كما تفيدنا الوثيقة مقدار أجرة هذا الإمام التي بلغت مقدار 14 مثقال تخرج من مستفاد حبس المسجد المذكور[13] إعانة الإمام شريطة أن تفي الأجرة بمتطلباته وإلا فيكمل له ما نقص لما يخصه من مستفاد أحباس مقابر المسلمين، كما يفيدنا الظهير الشريف بتنبيه الإمام إلى كونه يجب أن يقوم بشرط المحبس **أكثر من كثير من الناس المنفذ لهم ذلك.**

ويبدو أن أحباس قبور المسلمين كانت غنية تضاهي أحباس القرويين إذ تنص وثيقة وردت في الحوالة الإسماعيلية وجددت في الحوالة الحسنية على أن السلطان المولى الحسن الأول أمر ناظر مستفاد أحباس فاس العليا عبد الهادي بن المحتسب المنعم المعطي صفيرة الأندلسي وأمين مستفاد أحباس فاس الحاج عبد السلام... ؟ أن يقوما بتحصين (روضة المسلمين خارج قبة السمن[14] أحد أبواب هذه الحضرة ويكون الصائر : الثلثين على المخزن والثلث الباقي على أحباس فاس العليا، وعلى جعل سور لها من أولها إلى آخرها وجعل به حارسا يؤدي الحبس أجرته وظل الأمر جاريا إلى عهد السلطان المولى عبد العزيز حيث بطل...).

إن دل ما يشير إليه الأمر المولوي الشريف فإنما يدل على سعة أوقاف مقابر المسلمين ليس فقط بفاس القرويين وإنما أيضا بفاس الجديد (فاس العليا).

وقد يثير الشرط الوارد في الظهير العبد الرحماني المذكور أعلاه تساؤلا ما المقصود بقوله : «**يجب أن يقوم بشرط المحبس أكثر من كثير من الناس المنفذ لهم ذلك**»، ونستشف من رسم التنفيذ وقد اطلع عليه من يجب[15] مؤرخ بـ 13 محرم عام 1280، يظهر أسفل الرسم شكل وعلامة العدلين اللذين كتبا رسم التنفيذ وهما عبد الحق الغازي بشكله ودعائه ومحمد بن الطاهر العلوي الحسني لطف الله به، يقول منصوص رسم التنفيذ :

---

(13) نطلع ضمن جواب أبي الضياء مصباح بن محمد بن عبد الله اليصلوتي أن إمام مسجد القرويين وخطيبه يتقاضى أكثر مما يتقاضاه إمام جامع الأندلس وأجرة هذا أرفع من أجرة إمام جامع الأشراف بينما أجرة جامع فاس الجديد تكون أكبر من الجميع لكون السلطان أوالأمير يصلي به ، المعيار، ج 7، ص : 17 بتصرف.

(14) تقع قبة السمن في أول مدخل يقع عن يسار الذاهب من باب الساكمة اتجاه طريق مكناس.

(15) عبارة من يجب تعني القاضي.

الحمد لله

نفذ سيدنا الشريف، الأجل، الفقيه، العلامة، المدرس، الحافظ، الحجة، الأكمل، قاضي الجماعة بفاس وهو محمد (فتحا) بن عبد الرحمان العلوي وفقه الله الحسني للفقيه العلامة الأفضل المدرس الأمثل سيدي عمر بن الفقيه الأجل، الأفضل، المدرس، الأمثل، المرحوم بكرم الله عز وجل سيدي محمد الطالب بن سودة المري الإمامة بمسجد الدراس بإزاء وادي مصمودة تنفيذا تاما أوجب له الاختصاص بمستفاده الموقوف على محرابه شهد على من ذكر دامت كرامته وسلامته بما فيه عقبه وهو بحيث يجب له ذلك من حيث ذكر في 13 محرم 1280.

عبد الحق الغازي بشكله ودعائه وعلامته - محمد الطاهر العلوي الحسني لطف الله به آمين[16].

ولعل شدة الحرص والتدقيق في أمر التنفيذ كما تشير إلى ذلك تقيدة من التقاييد المدرجة بمخطوط الدر الفريد في سبيل الخير المفيد[17]، التي تقول : نفذ للإمام بالمحل المذكور وسوغ الانتفاع بالأوقاف المعينة لذلك شرط قيامه بالوظيف ومراعاة قصد المحبس من المواظبة على القيام بذلك (... بغير كسل ولا تسويف تنفيذا تاما شهد من ذكر دامت كرامته واتصلت سعادته لما فيه عنه وهو بحيث يجب إذ ذاك من حيث ذكر وعلى المنفذ له قبول التنفيذ المذكور والتزامه القيام بما قلده جهده وطاقته ووسعه واستطاعته، وهو عارف قدره...)[18].

وتطلعنا وثيقة أخرى في نفس السياق بخط من يجب استقل مذيلة بخط نائبه استقل - **قابله بنصه فمائله.**- وأشهده الفقيه الأجل نائب قاضي الجماعة وهو أحمد بن محمد بن عبد الرحمن السلماني الله وليه وأعزه الله تعالى وحرسها بالاستقلال.

وأسفله :

الظهير المنتسخ أعلاه الاستقلال التام بواجبه.

وهو حفظه الله ورعاه بحيث يجب له ذلك من حيث ذكر في 14 جمادى الثانية عام 1294 بخط نائب من يجب استقل وذيل بأداء وشكل ودعاء العدلين اللذين نسخاه وهما : محمد بن حمدون ابن الحاج بشكله ودعائه سامحه الله وغفر ذنبه

---

(16) انظر الملحق.

(17) مخطوط بقلم النسابة هاشم الكتاني، نسخة منه مصورة بخزانتي أهدانيها الشريف سيدي حمزة بن علي الكتاني شكر الله عمله.

(18) انظر صورة ضمن الملحق.

وعبد ربه إبراهيم بن محمد ابن الحاج لطف الله به.

ويخالجني سؤال قبل أن أختم لماذا نص ظهير تولية الإمام عمر بنسودة على الصلوات الليلية والانتفاع بمستفاد محراب مسجد سيدي الدراس.

لابد أن في تخصيص المحراب سر قد يكمن في كون دراس بن إسماعيل لم يشارك في الفتنة التي أثيرت حول انحراف قبلة القرويين بل صلى وكما تشهد بذلك كتب التراجم في محراب القرويين دون أن ينحرف، ويبدوأن الفتنة التي أثيرت حول انحراف مسجد القرويين لم تقتصر على فقهاء فاس والمغرب أيام السعديين بل شارك في إثارتها فقهاء خارج المغرب ومن ذلك على سبيل المثال المقالة التي كتبها عبد الرحمان التاجوري بعنوان «**تنبيه الغافلين عن قبلة الصحابة والتابعين**»[19].

ويبدوأن المعركة لم تخمد بسرعة بدليل الإشارات المتعددة الواردة في كتابات محمد اليستيني الذي رد على التاجوري وفي كتابات عبد الوهاب الزقاق الذي رفض رفضا باتا تغيير القبلة بالقرويين، وفي كتابات محمد بن علي التمكروتي، وفي كتابات صاحب مرآة المحاسن.

لذا لا أستبعد كون حبس المحراب كان ضمن أحباسه توريق الكتب التي تحدثت عن قبلة القرويين وإلا كيف يمكن تفسير ما تركته هذه الأحداث من أثر ترجمه لسان عوام المغرب عموما وعوام مدينة فاس خصوصا حين قالت :

- **بين قبلة سيدي الدراس وقبلة القرويين تاهت عقول وكثرت نقول.**
- **لا قبلة إلا قبلة سيدي الدراس.**
- **التاجري بنى القبلة والعرف يهدمها.**
- **محراب سيدي الدراس صحة وسلام من كل باس.**

(19) طبع الكتاب بمطابع النجاح الجديدة بالدار البيضاء سنة 1996.

دراسة عن مسجد سيدي دراس بفاس

للباحث عبد العزيز توري بوزارة الشؤون الثقافية

ندوة المذهب المالكي في المغرب من الموطأ الى المدونة (مارس 2008)

مسجد سيدي دراس بفاس

د. عبد العزيز توري

باحث بوزارة الشؤون الثقافية

يقع مسجد سيدي دراس بحومة مصمودة وهو واحد من أقدم أحياء عدوة الأندلس. وقد شيد هذا المسجد فوق بقعة أرضية منحدرة، وهو الأمر الذي أدى بمشيديه إلى ابتكار حلول هندسية من أجل أن يوفروا جميع المرافق المعتادة في المساجد، من بيت صلاة مغطاة، وصحن مكشوف، ومئذنة، وميضأة، وبيت للمؤقت، وكتاب لتعليم القرآن الكريم.

ومن الحلول الهندسية التي أعتمدت للتغلب على إشكالية الانحدار والحصول على أكبر مساحة ممكنة تأوي جميع المرافق، تشييد جزء من بناية المسجد فوق ساباط عند تقاطع زقاقين كبيرين من أزقة العدوة هما زقاق مصمودة[1] وزقاق[2] ابن كعبلا.

الوصف المعماري :

عمل مصممو مسجد سيدي دراس على تقسيم المساحة التي يوفرها المكان الضيق والمنحدر، المخصص للبناء، إلى قسمين أساسيين، خصصوا الأول لبيت الصلاة، وخصصوا الثاني للصحن المكشوف. لكن هذا الأخير هو الذي استفاد من المساحة الأكبر، مما سمح ببناء بيت للمؤقت بزاوية منه.

---

(1) «مصمودة» أو «المصامدة» – وهي الصيغة المعربة للاسم الأمازيغي «امسميضن» التي تعني «سكان المناطق الباردة» – واحدة من أكبر المجموعات القبلية الأمازيغية التي تستوطن المغرب، والتي لعبت أدوارا كبيرة في تاريخ البلاد. فمنهم على سبيل المثال خرجت دولة الموحدين التي استطاعت أن توحد المغرب الكبير والأندلس. عن المصامدة، انظر : أحمد هوزالي، «المصامدة»، معلمة المغرب، انجاز الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، 1426/2005، ج. 21، ص 7164-7165.

(2) يقال للزقاق «زنقة» بالدارجة المغربية.

بيت الصلاة :

بيت الصلاة مستطيلة الشكل، طول ضلعها الأكبر 9 أمتار 10 سنتم وعرض ضلعها الأصغر 8 أمتار. وتنقسم مساحتها الداخلية إلى ست بلاطات، منها ثلاث عمودية، أي متجهة في اتجاه القبلة، وثلاثة أفقية أي موازية لجدارها.

هذا التصميم قليل الوجود في مساجد فاس، إذ المعهود في هذه الأخيرة هو التصميم الأفقي وليس العمودي.

وقد جاء البلاط العمودي الأوسط المقابل للمحراب أوسع من البلاطات الأخرى، إذ تصل المسافة الفاصلة ما بين الأعمدة الحاملة لأقواسه إلى 3 أمتار مقابل مترين للبلاطات الأخرى. ومن هذه الميزة الأولى تتبين أهمية هذا البلاط، وهو المرمر الذي يبرره كذلك شكل سقفه الخشبي الذي هو من نوع «**البرشلة**»[3]، بينما تمت تغطية باقي البلاطات بسقوف مسطحة من طراز ما نسميه في المغرب «الورقة والجائزة»[4].

لأقواس البلاطات اتجاه عمودي (أي أنها تساير اتجاه البلاطات نفسها) وشكلها شكل حذوة الفرس، تحملها أعمدة مربعة الشكل، وتحيط بالأقواس إطارات مستطيلة، خالية من كل زخرفة.

أما أرضية بيت الصلاة فجاءت مكسوة بقطع «لمزهري»[5] المربعة، المعتادة في مثل هذه البيانات. على أن الأرضية كان بالإمكان أن تكسى بـ «الضس»[6]، وهو النوع من الأرضيات الذي كان سائدا في القرون الأولى لحضارة الإسلام ببلاد المغرب، سواء في المعالم الدينية أوحتى في بعض المباني الخاصة والعمومية[7].

---

(3) «البرشلة» سقف بانحدارين اثنين أو بانحدارات أربع، يعد من السقوف التي تغطى بها الغرف الرئيسية أوالأماكن المهمة في البنايات السكنية أوالدينية على السواء.

(4) «الورقة» بسكون الراء وبدون نطق التاء، و«الكايزة» بكاف ينطق كالجيم المصرية وسكن الياء وتاء نهائية لا تنطق.

(5) «المزهري» بسكون اللام والميم وفتح الزاي أوسكونه وسكون الهاء، وهي قطع من الآجور المشوي وغير المزلج، مربعة الشكل، غالبا ما تكون مقاييسها 7 سنتم في 7 سنتم أوتصل إلى 10 سنتم مربعة.

(6) «الضس» بتشديد الضاض والسين على السواء، ويقال كذلك «جص» بجيم مصرية عليها سكون وسين فوقها شدة وسكون، وهو كساء من رمل وجير يخلطان بأصفر البيض (ناذرا) أوبالزيت أوبالصابون التقليدي، فيأتي ذا صلابة كبيرة وجودة عالية.

(7) هذا النوع من الأرضيات هو الذي كشفت عنه مثلا الحفريات التي أقيمت نهاية الأربعينات وبداية الخمسينات من القرن الماضي، بما تبقى من موقع القصور المرابطية (حيث جامع الكتبيين الموحدي اليوم) بمدينة مراكش، انظر : Meunier J et H. Terrasse Recherches archéologique, 1952, Paris, publication de l'L.H.R.M, à Marrakech les oratoires de quartier de Fès : essai d'une not 6; Touri A., p. 27 p. 134, 1980, thèse dactylo. Paris - Sorbonne, typologie.

يتوسط جدار القبلة محراب نصف دائري، يحيط بواجهته إطار أملس، لا زخرفة داخله ولا حوله. ويفتح المحراب على البلاط الأوسط الذي قبالته بقوس قليل الانكسار، يحمله عمودان مربعي الشكل، منغرسان كل في جدار من جداري قبو المحراب.

يلتصق ببيت الصلاة هذا فضاء صغير لا يتعدى عرضه 40 سنتم، يعلو جزء من الساباط، هذا الأخير طوله 11 مترا و80 سنتم وعرضه متران و25 سنتم وهو نفس مقياس علوه فوق سطح الأرض. ويتم المرور إلى هذا الفضاء عبر أربعة أقواس تم فتح اثنين منهما واحد في الزاوية الشمالية والآخر في الزاوية الغربية لقاعة الصلاة، بينما فتح الاثنان الآخران في الوسط، قبالة المحراب.

كل هذه الأقواس الأربعة نصف دائرية، لكن الأولين أصغر من الأوسطين.

هذان القوسان الأوسطان متزوجان، تفصل بينهما سارية من المرمر داكن اللون.

- **الصحن :**

يتقدم هذا الفضاء الصحن، وتفصل بينهما أربع فتحات مقابلة للأقواس الأربعة السابقة الذكر، والتي تفصل بدورها الفضاء عن بيت الصلاة.

وشكل الصحن مستطيل كبير كبيت الصلاة، لكن مساحته أكبر من مساحة هذا الأخير،إذ يصل الضلع الأكبر إلى 10 أمتار و35 سنتم (من الشرق إلى الغرب) ويقف الأصغر عند 9 أمتار و35 سنتم (من الشمال إلى الجنوب).

ومع ذلك، ورغم كبر مساحته لا نجد بهذا الصحن لا نافورة ماء ولا صهريج ولا حتى «سقاية» جدارية[8]، كما هي العادة في جل مساجد أحياء فاس.

على أن ما يشد الانتباه، وجود درج في الزاوية الشمالية للصحن يؤدي إلى بيت وضوء أقيم في الطابق تحت الأرضي للمسجد، وفتحة بالزاوية الشرقية، ترى عبرها مياه ساقية «**مصمودة**»، التي كانت مياهها تصل إلى العديد من المنازل والبيوت المجاورة، وإلى المسجد الجامع لعدوة الأندلس، قبل أن يجلب إليه الخليفة الناصر الموحدي، في القرن (6 هـ/12م) الماء من عين خاصة.

---

(8) أي ما يسمى في المشرق العربي «الحنفية».

- **الملحقات :**

لمسجد سيدي دراس مجموعة من المرافق الملحقة به، والمكملة لمكوناته، أهمها المئذنة، وبيت الوضوء، وبيت المؤقت - وكتاب لتعليم الأطفال القرآن الكريم.

- **المئذنة :**

ونصبت في الزاوية الغربية لبيت الصلاة، وهي مستطيلة الشكل، قياساتها من الداخل متران اثنان و90 سنتم على متر واحد ونصف المتر. أما علوها فيصل إلى 8 أمتار (إذا احتسبنا المسافة الفاصلة ما بين أعلى «**الشرافات**»[9] وأرضية بيت الصلاة)، و11 مترا إذا اعتبرنا المسافة الفاصلة ما بين «**الشرافات**» وأرضية الزقاق.

أما «العزري»[10] فيصل علوه إلى 3 م أمتار و15 سنتمترا وتزين واجهاته أقواس عمياء نصف دائرية.

أقيمت هذه المئذنة فوق «الساباط» من جهته الغربية. وهذه المكانة لها أهمية بالغة لأن الرؤيا كانت تصل من أعلى المئذنة إلى السوار الخارجي للحاضرة، وهو ما كان يسمح بالتحكم (بالرؤيا)، في حي مصمودة بل وفي مجال واسع من المدينة.

- **بيت الوضوء :**

يقع البيت تحت الصحن أي في المستوى تحت الأرضي للمسجد بحيث أبعدت الميضأة عن بيت الصلاة وعن الصحن الذي يصلي فيه زمن الحر أوزمن اعتدال الجو، مما يبعد الروائح التي قد تنبعث منها عن المصلين.

- **بيت المؤقت :**

وهو بيت عاد مستطيل الشكل مقاييسه ثلاثة أمتار على مترين و10 سنتمترات، يدخله ضوء النهار عبر نافذة صغيرة فتحت في الجدار الشرقي. أما سقفه فمغطى بغماء من صنف «الورقة والجائزة».

---

(9) «الشرافات» (بتشديد الشين والراء وفتحهما، وهو جمع شرافة - بسكون السين وتشديد الراء وتاء ولا تنطق في الدارجة المغربية) تلك هي العناصر المعمارية الصغيرة التي تعلوا المباني الرسمية من قصور وقلع وغيرها كالأسوار الوقائية مثلا، أوتعلو صوامع المساجد، والتي عادة ما تكون على شكل منارات قمتها هرمية الشكل.

(10) مصطلح يطلق في العمارة المغربية على تلك الأبراج الصغيرة التي تتوسط أعلى المآذن وتنتهي في جل الأحيان، بـ «جامور» (وهو قضيب معدني يغرس في قمة «العزري» الهرمية) تتخلله كويرات نحاسية.

- الكتاب :

مسجد سيدي دراس من المؤسسات الدينية التي تتوفر على كتاب لتعليم الأطفال الصغار القرآن الكريم والتعاليم الأولية للدين الحنيف. وقد ذهب بعض الباحثين إلى جعل المسجد وكتابه من المراكز التربوية والتعليمية التي تعد من فروع جامعة القرويين القديمة[11]، وبذلك فهو من المعالم التي كان لها دور وحضور في لحياة الدينية والاجتماعية والثقافية الفاسية منذ العهود الأولى لحاضرة إدريس بن عبد الله.

يقع كتاب سيدي دراس خارج مبنى المسجد، أي أنه منعزل عنه، تفصل بينهما بضعة أمتار، وهو عبارة عن قاعة عادية مستطيلة طولها ستة (6) أمتار و25 سنتمترا وعرضها متران و65 سنتمترا، أرضيتها من «الضص» وسقفها منبسط، يدخلها ضوء النهار عبر نافذتين كبيرتين فتحتا واحدة في الجدار الشمالي والأخرى في الجدار الشرقي.

المستنتجات

يضم هذا المسجد، على صغر مساحته، كل المرافق الضرورية والمعهودة في بيوت الله كما بناها المغاربة منذ بداية عهدهم بالإسلام. وهو من أقدم مساجد فاس، ومن دلائل ذلك :

- التصميم الذي قسم بيت الصلاة إلى ثلاث بلاطات عمودية، تتقاطع معها بلاطات أفقية، وهذا التصميم هو الذي كان سائدا في الأندلس في القرن العاشر وبداية الحادي عشر (أي قبل فترة المرابطين) على عكس التصميم الأفقي الذي ساد ببلاد المغرب الكبير.
- نوع الأقواس النصف الدائرية والمنكسرة قليلة الانكسار[12].
- كون المسجد سيدي دراس من المساجد المعلقة إذ تعتبر هذه الأخيرة من أقدم بيوت الله بفاس.
- تكاد كتب الأخبار التي تناولت تاريخ مدينة فاس أن تكون متفقة على أن هذا المسجد هو من بناء أبي ميمونة دراس بن إسماعيل نفسه، المتوفى سنة 357 هـ -

(11) راجع، د. عبد الهادي التازي، جامع القرويين : المسجد والجامعة بمدينة فاس، ج.3، ص 683، وص 690 هامش 101.

(12) التصميم العمودي والأقواس نصف الدائرية قليلة الانكسار أقدم ما عرفته العمارة الإسلامية ببلاد المغرب، وهي من التأثيرات المشرقية التي وصلتنا عن طريق القيروان والأندلس.

967/968 م، فيكون إذا قد شيد في القرن العاشر للميلاد، أي في وقت كانت فيه المدينة لا زالت منقسمة قسمين : قسم على الضفة اليمنى لواد الجواهر (عدوة الأندلس) وقسم على ضفته اليسرى (عدوة القرويين).

وخاتمة القول أنه زيادة على كونه مسجدا تؤدي به الصلوات، ويلقن فيه القرآن الكريم، وتدرس به أصول الفقه المالكي وعلوم الدين، فقد كان مسجد سيدي دراس خلوة هذا العالم والولي الصالح، التي كان يختلي بها للتعبد ومناجاة ربه.

توجيهات مرجعية :

- التازي عبد الهادي، جامع القرويين، المسجد بمدينة فاس، 3 مج، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1972.
- ابن أبي زرع علي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، مراجعة عبد الوهاب بنمنصور، المطبعة الملكية، الرباط، 1999.
- Thèse, Les oratoires de quartier de Fès : essai typologie, Touri Abdelaziz, Paris, de la Sorbonne, dactylo., de doct. de IIIème cycle 1980.